الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: التاريخ

الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 م إلى القرن 20 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

تخصص: التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

زهرة مسعودي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بوالصفصاف

السنة الجامعية:

1430-1431هـ

2009-2010 م

بسم الله الرحمان الرحيم

الإهـداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من كان

لهم الفضل في تمكني من بلوغ هذا

المستوى:

والدي الكريمين.

إلى إخوتي ، وكل من كان له دور في حياتي

العلمية.

شكر وامتنان

أتقدم بالشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف:

الأستاذ الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف على كل ما بذله من مجهودات وتوجيهات لإنجاح هذا العمل.

كما أشكر كل أساتذة قسم التاريخ على مساعداتهم المستمرة واللامتناهية في سبيل تشجيع البحث العلمي. ولا يفوتني أن أشكر السيد سليماني علي ، والسيد طواهرية عبد الله على كل ما قدموه لي من مساعدات.

دون أن أنسى كل زملائي خاصة كحلاوي حليمة.

المختصرات والرموز

د.دن: دون دار نشر

دط: دون طبعة

دت: دون تاريخ

ط: الطبعة

مر: مراجعة

ج: الجزء

تح: تحقيق

م.د.11: الملتقى الدولي الحادي عشر لجامعة أدرار

م: ميلادي

هـ: هجري

د.م: دون مكان نشر

ع: العدد

المقدمة

لم يكن التصوف الإسلامي وليد العصر الحديث إنما هو نتاج لسلسلة من التغيرات والتطورات منذ ظهور الإسلام لغاية وقتنا الحالي، لذلك فان دراسته بشكل شامل وواسع تقتضي التعمق في مصادره وتتبع مراحله خطوة بخطوة خاصة إذا علمنا أنه كظاهرة دينية تعرض للكثير من الانتقادات وأثار جدلا كبيرا بين الباحثين باعتباره موضوعا له تأثير هام على المجتمعات والأفراد، فقد أصبح جزءا أساسياً من حياتهم اليومية ، إذا تعلق الأمر بأهميته في إصلاحها.

وعلى هذا الأساس فإن التصوف أثبت دوره في إصلاح مجتمعات بأكملها، وقلب حياتها رأسا على عقب لا سيما إذا تحدثنا على المجتمعين التواتي والإفريقي، فالتصوف يعد أحد العوامل التي وحدت بين الشعوب ولمت شملها بعيدا عن التأثيرات والحدود السياسية والجغرافية، كما أنه يعتبر دواء للنفس وعلاج لها من الأمراض النفسية التي كثيرا ما تصاب بها فهو يطهرها ويبعدها عن الانغماس في الملذات والشهوات ويسمو بها إلى أعلى الدرجات.

ولقد تعددت دوافع اختياري لهذا الموضوع للدراسة والبحث فيه، منها: رغبتي في معرفة تاريخ منطقة توات وغرب إفريقيا، خاصة وأنها مجهولة لدى الكثيرين، ولا نكاد نعرف إلا القليل النادر عن هذه المناطق، فكانت هذه الدراسة سببا لمعرفة نشأة الحركة الصوفية في المنطقة وصيرورتها التاريخية، هذا إلى جانب قلة الدراسات الأكاديمية التي تدرس تاريخ المنطقتين بشكل عام، والتصوف بصورة خاصة فالمكتبة الجزائرية تفتقر لمثل هذه المواضيع، لذلك رغبت في التعرف على تاريخ التصوف بالمنطقة والامتدادات المتصلة بغرب إفريقية، محاولة استنطاق المادة الخبرية القليلة الموجودة في صفحات الكتب، زيادة على رغبتي العلمية في حب الاطلاع والاستزادة.

ويدور موضوع هذه الدراسة حول إشكال رئيسي هو الدور الذي خلفه ظهور التصوف بمنطقة توات والعلاقات الممتدة مع غرب إفريقيا خلال فترة الدراسة على اعتبار أن هذه الظاهرة أحدثت تحولات جذرية في المجتمع التواتي أدت إلى التغيير في الذهنية التواتية والتجديد فيها ليمتد التأثير بعد ذلك إلى إفريقيا الغربية .

وتندرج ضمن هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات الثانوية تتعلق ب:

أولا: المعنى الحقيقي للتصوف ومنطلقاته الأساسية خاصة وأن مفهومه عرف تضارباً في الآراء، بين من يرى أن التصوف هو الانزواء والانطواء، وبين من يرى ضرورة تفاعل الصوفي بالمجتمع وتأثره به فما حقيقة التصوف؟.

ثانيا: تأثر المجتمع التواتي بالطرق الصوفية وطبيعة هذا التأثر إذ نجد معظم سكان المنطقة أثرت فيهم تأثيرا سلبيا تجلى في التبرك بالأولياء والتقرب لهم وتقديسهم لحد العبادة في حين اقتصر البعض على الاستفادة مما تقدمه الزوايا من تعليم وإطعام ومساعدات .

ثالثا: ما هو الدور الذي أدته الطرق الصوفية بغرب إفريقيا التي كانت تعيش حياة بدائية منغلقة، فقد ساهم التصوف في نهضتها وانفتاحها على العالم الخارجي.

ويمتد الموضوع محل الدراسة في الفترة الممتدة من القرن 18م إلى القرن 20 م، على اعتبار أنها الفترة التي شهدت نشاطاً فعالا للطرق الصوفية بتوات وغرب إفريقيا.

اعتمدت في هذه الدراسة على منهجين: أحدهما تاريخي وصفي لرصد المادة العلمية ووصفها وتتبع الأحداث والوقائع والآخر تحليلي لتفكيك الأحداث وتمحيصها وفحصها مع توضيح الأسباب واستخلاص النتائج.

وككل بجث واجهتني صعوبات عديدة في دراسة الموضوع، أهمها قلة المصادر التي تتحدث عن موضوع الدراسة ، وإن وجدت فمادتها العلمية شحيحة، إضافة إلى قلة المصادر الأجنبية .

وعن الدراسات السابقة، فهناك دراسات أكاديمية وأخرى عامة، بالنسبة للدراسات الأكاديمية فقد تمثلت في بعض مذكرات التخرج من مرحلة التدرج الجامعي التي تناولت جانبا من الموضوع مثل مذكرة " دور الزوايا في حفظ المخطوطات "، ومذكرة تخرج بعنوان " الطرق الصوفية والزوايا بمنطقة توات"، إضافة إلى أطروحة دكتوراه للدكتور حوتية محمد.

أما النوع الثاني، فقد وجدت بعض الدراسات من هنا وهناك مثل كتاب " الرحلة العلية إلى منطقة توات" لمؤلفه الشيخ باي بلعالم.

ولدراسة الموضوع باستفاضة، اعتمدت جملة من المصادر والمراجع أهمها: مخطوط الطرق الصوفية بتوات لمؤلفه محمد الصافي البركة، اعتمدت عليه خاصة في الفصل الثاني للتعرف على أهم الطرق الصوفية المنتشرة بالمنطقة وكيفية دخولها لها، ومخطوط " نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات" لمؤلفه أحمد الطاهري، استعنت به في المبحث الأول من الفصل الثاني للتعريف بمنطقة، مخطوط " الطرائف والتلائد" لمؤلفه الشيخ محمد بن سيد المختار الكبير، اعتمدت عليه في التعرف على معنى التصوف، هذا إلى جانب مصادر أخرى تتعلق بغرب إفريقيا مثل "كتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس" لأبي عبد الله الشريف الإدريسي، ""المسالك والممالك" للإصطخري، اعتمدت عليهم في المبحث الأول من الفصل الأخير للتعريف بغرب إفريقيا، كما استعنت بمراجع هامة مثل كتاب ""إقليم توات خلال القرنين 18م و19م لكاتبه "فرج محمود فرج الذي ساعدني في زيادة الإلمام بوضع المنطقة في هذه الفترة، "كتاب الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء" لعمار هلال الذي يعطي لمحة عن مختلف الطرق الصوفية بشكل عام وانتشارها بغرب إفريقيا بصورة خاصة، كما اعتمدت على كتاب " التصوف منشؤه ومصطلحاته " لأسعد السحمراني في الفصل الأول بحيث يعطي تعريفات هامة ومختلفة عن مفهوم التصوف، بالإضافة إلى محاضرات الملتقى الدولي الحادي عشر لجامعة أدرار لعام 2008 م، الذي استفدت منه كثيرا في

مختلف فصول الدراسة، ومراجع أخرى عديدة ساعدتني بما تحتوي في إثراء الموضوع وتوسيع معلوماته وأفكاره.

ولدراسة الموضوع بشكل ممنهج، اعتمدت خطة مكونة من ثلاث فصول ، كل فصل يحتوي على مجموعة من المباحث، إضافة إلى مقدمة وخاتمة، وهذا على النحو الآتي:

خصصت الفصل الأول للحديث عن التصوف وكل ما يتعلق به من معاني ومفاهيم لغوية واصطلاحية، وهذا في المبحث الأول، واقتصرت في المبحث الثاني منه على التحدث عن مفهوم الزاوية ، أنواعها، أدوارها، وأهم الزوايا المنتشرة بتوات، في حين أفردت المبحث الثالث للحديث عن المراحل التي مر بها التصوف بشكل عام وأهم الطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر.

أما الفصل الثاني فقد ركزت فيه على دراسة الطرق الصوفية بمنطقة توات وتأثيرها بالمنطقة في خمسة مباحث:

تناولت في الأول منه التعريف بمنطقة توات من حيث التسمية والتكوين الجغرافي والعناصر البشرية المشكلة لمجتمعها، وأهم الأوضاع الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية بالمنطقة خلال فترة الدراسة.

وفي المبحث الثاني حاولت تتبع انتشار الطريقة الشاذلية وفروعها بالمنطقة، بداية بتعريفها ومؤسسها، ثم أهم فروعها المتمثلة في الكرزازية، الشيخية، الطيبية، وغيرها.

كما خصصت المبحث الثالث للتعرف على الطريقة التيجانية وكيفية انتشارها بالمنطقة، بينما أفردت المبحث الرابع للحديث عن الطريقة القادرية وفروعها بالمنطقة، ومناطق انتشارها.

وتطرقت في المبحث الخامس للدور الذي لعبته الطرق الصوفية بمنطقة توات، هذا الدور الذي شمل جوانب عديدة، وكان له تأثير بالغ على سكان المنطقة.

أما الفصل الثالث والأخير فقد أفردته للحديث عن التأثيرات والعلاقات المتبادلة بين المنطقتين في ثلاث مباحث:

حاولت في المبحث الأول تسليط الضوء على منطقة غرب أفريقيا من خلال تعريفها بذكر موقعها، خصائصها، أهم الأجناس البشرية المكونة لها، وفي المبحث الثاني تتبعت انتشار التصوف بالمنطقة من خلال التعرف على أهم الطرق الصوفية المنتشرة بالمنطقة، والتي كان لمنطقة توات دور هام في ذلك، أما المبحث الثالث فقد أفردته لدراسة الدور الذي أدته الطرق الصوفية بغرب إفريقيا، إذ أنها ساهمت في تغيير المجتمع الإفريقي بالقضاء على العديد من العادات السيئة التي كانت سائدة عن نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية.

وفي الأخير لا أدعي الإلمام بالموضوع من كل جوانبه، بقدر ما أكون قد طرحت إشكالات عديدة ستفتح المجال الواسع للدراسة والبحث فيه من خلال الدراسات الأكاديمية اللاحقة.

الفصل الأول:

معنى التصوف وتطوره

1/ التصوف المفهوم والنشأة.

2/ مفهوم الزاوية.

3/ مراحل انتشار وتطور علم التصوف.

الفصل الأول: معنى التصوف وتطوره

يعتبر التصوف ظاهرة دينية شملت مختلف الديانات الوضعية والسماوية ومنها الإسلام الذي أخذ التصوف فيه منحى خاص، فقد مر التصوف الإسلامي بمراحل وتغيرات منذ ظهوره ، تأثر فيها بمؤثرات خارجية جعلته يختلف من حيث الأصل والمفهوم، هذا إلى جانب ارتباط التصوف بمصطلحات ومعاني لا يمكن فصلها عنه كالزاوية والطريقة . كل هذا سنعالجه في هذا الفصل الذي نتوقف فيه بداية عند شرح معنى التصوف وأصله وكل ما يتعلق بـه، ثم نتحدث عن مفهوم الزاويـة وأنواعـها وفي المبحث الثالث نشير إلى انتشار التصوف وتطوره في الجزائر، وأهم الطرق الصوفية التي انتشرت فيها .

المبحث الأول: التصوف المفهوم والنشأة

1- التصوف لغة :

جاء في المعجم الوسيط [1]من الناس من يتبع طريقة التصوف والعارف به، سمي كذلك نسبة للبس الصوف تقشفا، وفي قاموس الوافي[2]، تشتق كلمة "تصوف" من فعل "صوف" جعله صوفيا، وتصوف صار صوفيا، أي تخلق بأخلاق الصوفية، والصوفية فئة من المتعبدين، وأحدهم الصوفي.

ومصطلح صوفي يشير إلى مجموعة من النساك والروحانيين الذين اشتغلوا بالتصوف.

2- التصوف اصطلاحا :

أصل التسمية :

اختلفت الآراء حول منشأ التصوف واشتقاقاته، لكنها تشترك في اشتقاق كلمة تصوف من أربعة مصادر هي الصفة، الصوف، الصفاء، الصف.

---

(1) ابراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط: ج1-2، ط2، د.دن: 1972، ص 554.
(2) شهاب الدين أبو عمرو: القاموس الوافي، مر: يوسف البقاعي، ط1،دار الفكر،بيروت:2003، ص708.

1- **الصفة:** هي عبارة عن فناء بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم، استقرت فيه جماعة من المسلمين الفقراء، تفرغوا للعبادة والجهاد في سبيل الله فعرفوا بأهل الصفة[1].

2- **الصوف:** وهو لباس كان يرتديه هؤلاء، فسموا بذلك بالصوفية، وهم يعتقدون أن الصوف لباس الأنبياء، حسب ما رواه الإمام مالك في الموطأ يوم كلم الله موسى كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف............."[2]

3- **الصفاء:** بمعنى صفاء القلوب ونقاء أسرارها، وفي هذا يقول بِشر بن الحارث " الصوفي من صفا قلبه لله" ، ومن هذا سمى هؤلاء لصفاء سرائرهم وتزكية نفوسهم .

4- **الصف:** أي أن أصل التصوف من جلوس هؤلاء في الصف الأول.

لكن إذا بحثنا في هذه الاشتقاقات نجدها في معظمها تركز على الظاهر دون الباطن، والصوفي همه بالأساس هو صقل الباطن وإهمال الظاهر، حيث يقول أبو علي الروذباري (322 هـ): " الصوفي من لبس الصوف على الصفاء وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا وسلك سبيل المصطفى"[3].

ومهما تعددت اشتقاقات التصوف ومصادره إلا أن كلمة تصوف لا تخرج عن نطاق أربع أحرف، وهي حسب رأي الإمام القريشي: **ص:** صبره وصدقه وصفاؤه، **و:** وجده ووده ووفاؤه، **ف** فقره **ي:** ياء النسبة بها أضيف إلى حضرة مولاه.

---

(1) أسعد السحمراني: التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط1، دار النفائس، بيروت:1987،ص15.
(2) مالك بن أنس: الموطأ، دار الكتب، الجزائر:بدت، ص532.
(3) أبي العباس أحمد زروق: قواعد التصوف ، ط1،تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ، بيروت:2003،ص3.

مفهوم التصوف :

لا يمكن تحديد مفهوم معين للتصوف، ليس لاختلاف المصادر في تعريفه إنما لتطور التصوف من مرحلة لأخرى، ومن زمن لآخر، ولِما عرفه من تأثيرات خارجية وداخلية.

لكن أغلب مصادر التصوف تتفق على أن التصوف هو التقرب إلى الله بعبادته والابتعاد على ملذات الدنيا، وهو الانتهاء بالنفس والأخلاق الإنسانية إلى درجة الفناء في الحضور الإلهي، أو هو منهج سلوكي يعتمد على التقشف والتحلي بالفضائل لتزكية النفس والارتقاء بالروح [1]

والتصوف حسب ابن خلدون[2] هو: " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة..." .

ويقول الإمام الغزالي عن التصوف: " علمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله "

ويربط الجُنيد التصوف بصفاء القلب والانسلاخ من الصفات البشرية والوفاء لله في الحقيقة وإتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة "[3].

أما أبو القاسم النصرابادي فيُرجع أصل التصوف إلى ملازمة الكتاب والسنة والابتعاد عن الأهواء وحسن صحبة الرفاق وتعظيم المشائخ [4].

ويرى الإمام جلال الدين السيوطي أن التصوف هو ملازمة الطاعات، وترك النواهي والمخالفات، وعدم التطلع إلى الملذات والشهوات والشبهات، والاعتماد على الله في كل الحالات[5].

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف: التصوف مفاهيمه وأبعاده، م. د. 11 لجامعة أدرار، ص 4.
[2] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط2، دار صادر، بيروت: 2005، ص 357.
[3] محمد بن الكبير حسوني: اللبانة الرمزية لمريد المناقب المعزية،دط، مطبعة الريان،الجزائر:2007،ص101.
[4] نفسه، ص96.
[5]Kalabadh : Traité de soufisme,Editions Sindbad, Paris :1981,p29.

ومهما يكن من أمر فإن التصوف هو منهج سلوكي، يقوم على أساس قواعد روحية نفسية تجعل القلب صافيا جليا، ولا يمكن اعتبار التصوف طريق مادي لكون الصوفي يسعى للوصول إلى حالة روحية لا تكون لغيره ولا يشاركه فيها أحد.

وكما اختلف حول أصل كلمة "تصوف"، ظهر الاختلاف حول مصدرها، فالبعض يُرجع أصلها إلى الإسلام بدليل أن قواعد التصوف مستمدة من الإسلام، والبعض الآخر يرى أن التصوف ليس إسلامي المنشأ، وهو دخيل على الإسلام، جاء إليه بواسطة تأثره بعادات وثقافات فارسية أو هندية أو يونانية أو مسيحية وفدت بعد الفتح الإسلامي[1].

لكن الدارس المتمعن لتاريخ التصوف، يجد أنه ذو منشأ إسلامي، فقد وردت آيات وأحاديث نبوية تحث على الزهد منها قوله تعالى: " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا" [2]، ومنها أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما أيدي الناس يحبوك. " [3]

وإذا كان مصدر التصوف إسلامي، فإنه تأثر بمؤثرات خارجية أثرت عليه سلبيا، وفي ذلك يقول الدكتور عمر فروخ: " الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم استقرت اتجاها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة"[4]

و نفهم من هذا النص أن الدكتور عمر فروخ، أرجع أصل التصوف إلى الإسلام، وبمرور الوقت دخلت عليه تغييرات نتيجة لتأثره بمؤثرات أجنبية، ومن هذه المؤثرات مثلا: نظام الرهبنة في الدين المسيحي، والذي يعتمد على الابتعاد عن

(1) خالد بن تونس: التصوف قلب الإسلام، ط1، دار الجيل، بيروت: 2005، ص53.
(2) سورة السجدة ، الآية 16.
(3) أسعد السحمراني: المرجع السابق، ص 42.
(4) نفسه، ص47.

الدنيا والناس في الأديرة والامتناع عن الزواج، وهي السمات نفسها التي يتميز بها العديد من الصوفيين.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن سالك طريق التصوف لا بد له من التوبة إلى الله، وغض البصر، وتجنب الغيبة والنميمة وشهادة الزور والكذب، وحفظ البطن من أكل الحرام، والابتعاد عن الكبر والعجب والرياء والحسد، ويداوم على ذكر الله ويزهد في الدنيا ويتوكل على الله[2]، كما يحتاج السالك في هذا الطريق لشيخ أو مربي[*]، ولا بد له من تجاوز مراحل عديدة تسمى بالمقامات والأحوال[**] تنتهي عند المعرفة بالله، ومن هذه المقامات نذكر: التوبة – الزهد– الورع – الفقر – الصبر – الرضا –التوكل، ومن الأحوال: القرب–المحبة–الخوف الرجاء–الشوق–ويعتمد في ذلك على وسائل عديدة تظهر انتسابه للطريق وتساعده في الوصول لهدفه منها : التلقين والمصافحة، ولبس الخرقة، بالإضافة إلى الإلمام الكامل بكتب الصوفية، وتحليلها مع إدراك معانيها[3].

ويضيف محمد بن أبي بكر التواتي[4] أن صاحب علم التصوف يكون جلدا صبورا قويا، ثابت القلب عطر البدن، بعيد من الوسخ، ومما تعافه الطبائع ويجب أن تكون نفسه حية لا ميتة بمعنى إذا لاح شيء من أنوار الروحانية اشتاقت إليها، واقشعرت جلدته، فالتصوف له فائدة عظيمة، وصاحبه مستجاب الدعوة.

ولا يمكن أن نعرج على التصوف ما لم نتعرف على معنى الطريقة، لأنهما متلازمان، والطريقة هي الإطار الذي يضم التصوف كظاهرة اجتماعية[5]. وبتعبير

---

(1) يوحنا صادر: سير المتصوفين المسلمين في جبل لبنان، ط1، دار صادر، بيروت: 2004، ص15.
(2) الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان التنلاني: ديوان شعر،ج1، خزانة سليماني بقصرأدغا.
(*) للشيخ دور كبير في التصوف والشيوخ ثلاثة: شيخ التعليم الذي يشخص العلة وشيخ التربية الذي يعالج العلة وشيخ الترقية الذي ينبه المريد على الطريقة والآداب للمزيد ينظر : محمد بن الكبير حسوني: المرجع السابق ، ص 105.
(**) المقام عند الصوفية ثابت لا يزول وهو يحدث ببذل الجهد أما الحال فيزول ويحدث دون بذل الجهد، للتوسع يُنظر: ابن حدوا وهيبة: المصطلح الصوفي بين المقامات والأحوال، م.د 11، ص105.
(3) أبوبكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ط1، دار صادر، بيروت: 2001، ص7.
(4) محمد أبي بكر التواتي: مخطوط السر المختبط في وقف المخمس الخالي الوسط، 1016هـ، مخطوط خزانة سليماني بأدغا، رقم 53.
(5) بشيري جلطي: مراحل تطور علم التصوف، م.د.11 لجامعة أدرار، ص123.

آخر هي الأسلوب الخاص الذي يعيش الصوفي بمقتضاه ضمن جماعات الصوفية تحت إشراف أحد كبار المشايخ[1].

وهي طريقة عملية لمراقبة سلوك المريد وتوجيهه، وبذلك فهي تتشكل من الشيخ العالم المربي، وبيعة، إلى جانب المريد الذي يعتبر تلميذا سالكا في طريق التصوف بإشراف شيخه[2].

من خلال ما سبق يتضح أن التصوف لم ينشأ من فراغ، إنما هو علم قائم على أسس وقواعد تجعله يُمارس في إطار اجتماعي منظم، وهو أيضا ليس تقليدا أو ناتج عن مؤثرات، بل يعتبر علما قائما بذاته، عرف تطور من مرحلة لأخرى بداية بظهور التصوف الفلسفي ثم التصوف السني إلى ظهور الطرق الصوفية في القرن 2هـ ، والتي أخذت أشكال عديدة ذات مبادئ عامة.

---

[1] حسن الدعجة: التوجهات السياسية للحركات الصوفية، م.د.11 لجامعة أدرار، ص384.
[2] عبد الرحمان تركي: نشأة الطرق الصوفية بالجزائر، م.د11 لجامعة أدرار، ص594.

المبحث الثاني: مفهوم الزاوية

الزاوية لغة :

الزاوية من زوي الشيء ، يزويه ، وزيا وزويا فانزوى ، زويت الشيء جمعته وتعني كذلك القرب [1]

الزاوية اصطلاحا :

اتفقت أغلب المصادر أن الزاوية في الاصطلاح هي مؤسسة دينية اجتماعية وثقافية لها مهام عديدة، كما أنها مكان لتلقي العلم يقصده الطلبة من كل مكان، وتعرف كذلك بأنها مؤسسة تربوية روحية يجتمع فيها شيوخ الطريقة ومريدوهم لترديد الأوراد [2].

وعند المغاربة، الزاوية هي عبارة عن مؤسسة دينية روحية اجتماعية تتكون من بيوت عديدة ومختلفة، فهي تحتوي على قاعة مخصصة للصلاة بها محراب وضريح لولي من الأولياء الصالحين كما يوجد بالزاوية مكان لتلاوة القرآن وآخر لتحفيظه، مع تخصيص مكان لتدريس العلوم المختلفة بالإضافة إلى غرف أخرى خاصة بالطلبة، وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية ، فضلا عن تخصيص غرف للمسافرين وعابري السبيل [3]

أما بالنسبة للمشارقة ، فالزاوية عندهم عبارة عن مسجد صغير أو مصلى، وقد عرفت الزاوية بأسماء عديدة قبل أن تستقر على هذا الاسم، وأشهرها دار الكرامة، دار الضيوف، الرباط ، وهي مشتقة من الفعل " ربط " بمعنى ربط الشيء وشده [4]
.

---

(1) قورراي عيسى: دور الطريقة العمامية في مقاومة الشيخ بوعمامة، م.د 11 لجامعة أدرار ، ص 504.

(2) الجمعية المغربية للبحث التاريخي: الرباط والزوايا في تاريخ المغرب ، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط: 1997، ص 97.

(3) سرير ميلود وآخرون: دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات ، ج1، ص 29.

(4) تياح جميلة ، بن جعوان عائشة، الزوايا أصالة ومعاصرة ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس ، جامعة ادرار ، ص05.

يتضح من هذه التعاريف أن الزاوية وإن اختلفت معانيها، إلا أنها ظلت مكانا يتوافد عليه الطلبة والمتعلمين، لتلقي العلوم المختلفة، وفي نفس الوقت كانت مأوى لمن لا مأوى له.

والجدير بالذكر هنا أن الزاوية تتشكل من عناصر أساسية هي :

1- **الشيخ :** هو المكلف بالتدريس والإمامة، فضلا على تسيير أمور الزاوية ومراقبتها.

2- **هيئة التدريس:** وهم المهتمين بمساعدة الشيخ في عملية التدريس.

3- **هيئة المتعلمين:** ويقصد بهم الطلبة الذين يدرسون في الزاوية ، زيادة على القادمين للزاوية بقصد الاستماع للدروس.

4- هيئة الخدمات: وهي الهيئة المشكلة من العاملين في الزاوية المختصين بخدمتها.

5-لجنة المسجد: وهي اللجنة المهتمة بتأثيث المسجد وجمع التبرعات [1].

الزوايا في توات:

يرتبط تاريخ ظهور الزوايا بتوات بتاريخ نشأة المنطقة، فالمتفحص لتاريخها يجد أن العديد من القصور والقرى في توات أطلق عليها اسم زاوية، من ذلك زاوية أقبلي بتديكلت، زاوية أبي الأنوار المعروفة بزاوية مولاي هيبة، زاوية مولاي عبد الله الرقاني يرقان، زاوية بلال ببلدية انزجمير، زاوية كنتة، زاوية سيدي علي بن حنيني بزاجلو، زاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل، زاوية الشيخ البكري، زاوية الدباغ، زاوية الشيخ بن عومر ببودة، وغيرها من المناطق التي اقترن اسمها باسم الزاوية على الرغم من وجود زوايا عديدة بمعناها السابق الذكر [2].

---

[1] سرير ميلود وآخرون: المرجع السابق، ص 33.

[2] محمد باي بلعالم : الرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج 1، ص 320.

وتتقسم الزاوية بمنطقة توات إلى أنواع هي:

1-**زوايا علمية** :

تأسست الزوايا العلمية بمنطقة توات لتؤدي دورها في عملية التعليم، وقد استطاعت تحقيق هدفها بسبب نظام التدريس المتبع فيها، حيث كانت تفتح أبوابها للمتعلمين يوميا من صلاة الصبح إلى الزوال، ومن بعد صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر، ومن بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، مع تخصيص وقت الاستراحة بين الفترة والأخرى، ويستمر هذا النظام يوميا، باستثناء يومي الخميس والجمعة.

والواقع أن الفترة الصباحية كانت مخصصة لكتابة ألواح الطلبة وتصحيحها من قبل المعلم ، ثم تمرين الطلبة على قراءة اللوح من خلال ترتيل ما هو مكتوب فيها أكثر من مرة، في حين خصصت الفترة المسائية لحفظ اللوح على المعلم ، أما الفترة الليلية فاقتصرت على قراءة حزبين من القرآن الكريم، وشيئا من متون العقيدة[1].

وقد ساعد هده النظام، على تخرج العديد من الطلبة، ممن حفظوا القرآن الكريم كما ساهم في تعليم الأميين، وحفظهم للقرآن الكريم من خلال المواظبة على قراءة الحزب اليومي.

أما باقي العلوم الأخرى، من فقه ونحو وصرف، فقد كان الطالب يدرسها بعد استكماله لحفظ القرآن في المرحلة الأولى، وبعد ذلك ينتقل الطالب لدراسة علم الحديث والتفسير، ثم يتخرج من الزاوية بعد أن يستوفي علوم الشريعة، والعلوم اللسانية[2]، ومن هذه الزوايا زاوية الشيخ محمد بلكبير بأدرار.

2-**زوايا الإطعام:** هي زوايا خيرية في الأصل، تختص بتقديم الطعام للضيوف والفقراء والمساكين وعابري السبيل، كما تهتم باليتامى وتقدم المساعدات

---

(1) محمد باي بلعالم ، المرجع السابق، ص 324.

(2) نفسه، ص 325.

لهم وللفقراء، واعتبرت مكان للإيواء والإصلاح بين المتنازعين[1]، وفي كثير من الحيان نجد الزوايا العلمية تهتم بالإطعام، فتؤدي دورين، الإطعام والتعليم مثل: زاوية زاجلو، زاوية نومناس، زاوية أوقروت، زاوية تسفاوت.

3-**الزوايا الصوفية:**

ظهرت الزوايا الصوفية بإقليم توات في القرن 15م، وأهمها الزاوية القادرية التي أسست من قبل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بزاوية كنتة، بالإضافة إلى زوايا أخرى نشأت بالمنطقة فيما بعد كالزاوية الكرزازية والبكائية والبكرية وغيرها من الزوايا التي لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام، وتصحيحه مما علق به من شوائب، ومن الزوايا الصوفية بتوات الزاوية الرقادية، مؤسسها أحمد الرقاد بن محمد الرقاد الكنتي[2].

أدوار الزوايا:

تعددت مهام الزوايا لتشمل مجالات عديدة نذكر منها: المساهمة الفعالة في مساعدة الفقراء والمعوزين والأيتام، بالإضافة إلى تقديم المساعدة في الأعراس الجماعية وتنظيمها، كما عملت الزوايا في كثير من الأحيان على تقوية العلاقة بين أفراد المجتمع من خلال إصلاح ذات البين، فضلا عن تعبئة أفراد المجتمع للجهاد والمقاومة ضد الاستعمار[3].

وليس هذا فحسب ، فقد لعبت الزوايا دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية والحفاظ عليها ، إلى جانب تعليم العلوم الشرعية والعلوم الأخرى كالنحو وفقه اللغة، وبهذا تصدت للاستعمار، وقاومت الحملات التبشيرية عن طريق فتح أبوابها لتعليم الصغار والكبار، وكل الفئات الاجتماعية[4].

(1) سرير ميلود وآخرون: المرجع السابق ، ص 34.
(2) محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ص 332.
(3) سرير ميلود وآخرون: المرجع السابق: ص38.
(4) نفسه ، ص 39.

ونشير هنا إلى أن الزوايا اعتمدت في تمويلها على المحصولات الزراعية وما يرد إليها من ثمار في بعض البلدان بالإضافة إلى عائدات الأوقاف التي كانت توقف عليها من قبل المحسنين[1].

ختاما لما سبق يمكن القول أن الزوايا كانت مؤسسة دينية تقوم بخدمات عديدة، فهي بالإضافة إلى ذلك، اعتبرت مركزا اجتماعيا، وثقافيا كان له الدور البارز في توعية المجتمع وإصلاحه خاصة في الفترة الاستعمارية.

[1] محمد باي بلعالم ، المرجع السابق، ص 323.

<u>المبحث الثالث</u>: مراحل انتشار وتطور علم التصوف.

تشير العديد من المصادر إلى أن التصوف ظهر منذ العهد الأول للإسلام بداية بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان يتعبد في غار حراء، وظل كذلك طوال حياته، واستمر التصوف بعد وفاته في صفوف الصحابة والتابعين[1]، وبمرور الوقت أخذ التصوف يتطور بالتدريج حتى برز أعلام صوفيين عظام أرخوا للتصوف، ودونوه في كتبهم التي هي اليوم مصادر هامة يعتمد عليها، ومن هؤلاء نذكر: أبو نصر السراج الطوسي (ت 378هـ)، أبو بكر محمد الكلابادي، أبو حامد الغزالي (ق5هـ-11م)، أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ) ابن النحوي يوسف بن محمد التلمساني(ت 513 هـ)، في عهد الدولة الحمادية، وأبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت 594 هـ)، وغيرهم من المتصوفة الذين وضعوا للتصوف قواعده ومنهجه الصحيح وحاولوا من خلال مؤلفاته توضيح التصوف الحق الذي لا يمكن أن يبتعد عن طابعه الإسلامي القويم ، وهو المعروف بالتصوف السني الذي يستمد قواعده من القرآن والسنة النبوية ، يتم الاعتماد فيه على تطهير النفس وتزكيتها وعلاج أمراض القلوب وأهواء النفس[2].

لكن التصوف لم يبق كذلك، إذ سرعان ما تأثر بمؤثرات خارجية أفقدته طابعه الإسلامي، فظهر ما سمي بالتصوف الفلسفي، الذي تأثر بالفلسفة اليونانية والفارسية ومن رواد هذا الاتجاه : البسطامي(ت261هـ) الحلاج(309هـ) النفري(ت351 هـ) ابن عربي أبو بكر محي الدين(ت638هـ) وغيرهم كثيرون.

وكرد فعل على هؤلاء ظهر التصوف السني، فكان أبو حامد الغزالي من أهم الصوفيين الذين رفضوا مزج التصوف بمؤثرات لا علاقة لها بالكتاب والسنة[3].

---

(1) إدريس بن خويا ، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات، م.د11 لجامعة أدرار، ص 460.

(2) بشيري جلطي، المرجع السابق، ص 124.

(3)Eva de vitray : <u>Anthologie du soufisme</u>, Edition sindbad,Paris : 1978,p125.

وهكذا ظل التصوف يتطور حتى ظهر في إطار اجتماعي يعرف بالطريقة الصوفية التي تتشكل من شيخ ومريد(*) وبيعه ، وعلى هذا الأساس ظهرت طرق صوفية عديدة أخذت تنتشر مع مرور الوقت حتى أصبح لكل طريقة أتباع ومريدون في مختلف أنحاء العالم ، وأشهر هذه الطرق الصوفية : الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (471- 561هـ)، الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي ، بالإضافة إلى طرق أخرى كالسنوسية ، التيجانية وغيرها من الطرق المتفرعة عن الطرق الرئيسية[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن انتشار الطرق الصوفية يقوم على أسس هامة فمن الصوفيين من أقامها على الخرقة والمشابكة ومنهم من أسسها على المرفعات ومنهم من أسسها على السبحة(**) وتلقين الذكر(***) والاقتداء ، فالخرقة هي عبارة عن عمامة أو طقية يلبسها المريد من شيخه والمرفعات هي لباس، يقول أبو مدين الغوث: أول من لبس المرفعات النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أبو بكر وعمر ثم عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين

أما السبحة فلها مكانة عند الصوفية ، فهم يُعظمونها ويحتفظون بها ، لكونها تعينهم على الذكر يأخذها المريد من شيخه بشروط(****)، يروى أن عبد السلام بن مشيش أوصى بدفن سبحته معه وجاء رجل إلى أحد الصوفيين يسأله في علم الكيمياء فرد عليه الكيمياء عندنا الرجل وسبحته، فأخذ الذهب يتساقط من سبحته والرجل ينظر.

(*) المريد هو كل من ينظم للطريقة .

[1] بشيري جلطي، المرجع السابق، ص 126.

(**) هي عبارة عن حبيبات وخرزات منظومة في خيط تتفاوت في العدد والشكل واللون يستعملها الذاكر لعد عدد الركعات ومرات التسبيح

(***) يشمل الذكر تلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتوحيد والتكبير والثناء على الله وطلب المغفرة منه والصلاة على نبيه وأفضل الذكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا اله إلا الله" ، أنظر: محمد بلكبير حسوني ، المرجع السابق ، ص 308.

(****) يجلس المريد أمام الشيخ ويشابك الشيخ يمينه بيمين المريد ويتوبون إلى الله توبة واحدة ويستغفرون الله ويأخذ الشيخ العهد من المريد بعدم الرجوع للمعصية ثم يلقنه الذكر .

وفيما يخص تلقين الذكر عند الصوفية ، فالذكر عندهم يتكون من قسمين: السر والورد، فالسر لا يجوز إفشاؤه من غير إذن من الله ورسوله وتكون عليه إشارة من الله ورسوله ، والورد يجوز إفشاؤه لمن طلبه[1].

والواقع أن ظهور نظام الطريقة يعود إلى بداية القرن 12 م –6 هـ حسب ما أورده العديد من المؤرخين، وفي غالب الأحيان نجد كل طريقة تسمى باسم شيخها الذي يعتبر المؤسس الفعلي لها وواضع أذكارها وأورادها.

هذا ومنذ القرن 14 م بدأت الطرق الصوفية تعرف انتشار واسع في العالم الإسلامي، وكانت الطريقة القادرية أول الطرق التي ظهرت في بغداد حيث كانت لها شعبية كبيرة في كل أنحاء العالم[2].

وبتقدم الزمن أسست هذه الطرق الصوفية زوايا اعتبرت مكانا للتربية والتعليم وتهذيب النفوس فضلا عن تقديم خدمات اجتماعية وإنسانية سواء للمريد والأتباع أو حتى عابري السبيل والفقراء والمحتاجين ، ومن هذه الزوايا نذكر: الزاوية الناصرية ، التي أسسها عمر الأنصاري سنة 983هـ بوادي درعة الزاوية العيساوية ومؤسسها الشيخ محمد بن عيسى بمكناس في القرن 10هـ – 16 م.

أما عن ظهور التصوف في المغرب العربي، فقد اجمع المؤرخون انه ظهر منذ القرن 5 هـ 11 م، أثناء فترة حكم المرابطين من خلال انتشار أفكار وأراء أبي حامد الغزالي وازداد التصوف انتشارا واتساعا في عهد الدولة الموحدية[3].

وقد عرف التصوف في المغرب العربي عامة والجزائر بوجه خاص تطورا لعدة أسباب منها: اتصال المغاربة بالمشرق بدافع أداء فريضة الحج وطلب العلم ، وقد استفاد المغاربة كثيرا من مذاهبهم واتجاهاتهم وفلسفاتهم ، من خلال اطلاعهم على

---

(1) محمد عبد الكريم الكرزازي ، مخطوط المناقب المعزوة في مآثر الأشياخ الكرزازية ، مخطوط موجود بخزانة سليماني بأدغا.

(2) عبد الرحمان تركي، المرجع السابق، ص 550.

(3) نفسه، ص551.

كتب هامة في هذا المجال كرسالة القشيري وقوت القلوب للمكي وإحياء علوم الدين للغزالي وغيرها من كتب المتصوفة الهامة[1].

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن التصوف في الجزائر عرف انتشار كبير بفضل الزاهد الأندلسي أبي مدين شعيب ابن الحسين (520 هـ 594 هـ)، وذلك منذ القرن 6 هـ 12 م ، ومحي الدين بن عربي (560 هـ 638 هـ) الذي يعتبر احد أقطاب التصوف الفلسفي في عهد الموحدين.

وبمرور الوقت اخذ التصوف ينتشر بين كافة أفراد المجتمع ، ولم يبقى منحصر في جماعة الزهاد والمتصوفين ، واتسع ليشمل العادات والتقاليد الشعبية ، فظهرت ألقاب مثل : الولي – الغوث– القطب–، وشيئا فشيئا بدأ الناس يلتحقون بالزوايا ويقدسون الأولياء ، ويؤمنون بكراماتهم ، ويقومون بزيارة مقابرهم وأضرحتهم فأصبح التصوف بذلك قوة روحية كبيرة[2].

أما عن ظهور الطرق الصوفية بالجزائر، فيرجع المؤرخون ذلك إلى القرن 16م 10 هـ وانتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن 18 م والربع الأول من القرن 19 م ويعود انتشار الطرق الصوفية بالجزائر إلى عدة عوامل أهمها :

- الأوضاع التي عرفتها الجزائر أثناء فترة حكم العثمانيين حيث تعرض الشعب الجزائري آنذاك إلى سلسلة من الهجمات الأوروبية على السواحل الجزائرية، بالإضافة إلى عدم اهتمام العثمانيين بالتطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للشعب الجزائري.
- إدعاء شيوخ الطرق الصوفية النسب الشريف جعل الشعب يزداد تمسكا بهم، وبذلك ازداد أتباعهم بكثرة.

---

[1] عبد الرحمان تركي: المرجع السابق، ص551.
[2] نفسه، ص552.

●نشاط الطرق الصوفية في الارياف، وإظهار الكرامات والخوارق على شيوخها ساعد على استمرارها وكسب الأتباع والمريدين في هذه المناطق[1].

وقد مر انتشار الطرق الصوفية في الجزائر بثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة البداية و النشؤ، ومحاولة كسب المريدين والأتباع وتهيئ الوضع والجو الملائم، لانتشارها في كافة مناطق الجزائر.

المرحلة الثانية : حاولت الطرق الصوفية القيام بدورها على أكمل وجه، حيث لعبت دور كبير في نشر الإسلام ، والحفاظ على التراث الإسلامي ، والقيام بعملية التعليم ونشر الثقافة العربية والإسلامية من خلال تأسيس زوايا عديدة انتشرت في مختلف أنحاء الوطن.

المرحلة الثالثة : وهي فترة الاحتلال الفرنسي، حيث كان للطرق الصوفية دور هام في مقاومة الاحتلال والتصدي له ، من خلال تنظيم الثورات والدعوة للجهاد فكان العديد من شيوخ الطرق الصوفية قادة لثورات عديدة ، مثل الأمير عبد القادر مقدم الزاوية القادرية ، والشيخ الحداد زعيم الزاوية الرحمانية الخلوتية الذين ساهموا في تعبئة الجماهير الشعبية لمشاركة في الثورات ضد الاحتلال الفرنسي ، لكن سرعان ما أخذت الطرق الصوفية تفقد فعاليتها وبدأ نشاطها يقل، حيث عرف بعضها جمودا وانحرافا وأجبرت أخرى على العمل لصالح الاحتلال[2].

وقد عرفت الجزائر انتشار عدة طرق صوفية نذكر أهمها، وهي:

1- **القادرية** : وهي من أقدم الطرق التي دخلت للجزائر ، حيث انتشرت في غرب الجزائر والجنوب الغربي لها وفي شرقها وباقي المناطق ، وقد كان لمدرسة بجاية القادرية دور هام في انتشار الطريقة بالجزائر بالإضافة إلى مدرسة المنعة بالأوراس، وزاوية القيطنة بمعسكر، وزوايا الميلية

[1] عبد الرحمان تركي: المرجع السابق، ص553.
[2] عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص11-12.

بالشرق الجزائري، وتوسعت الطريقة أكثر حتى تفرعت عنها طرق وزوايا عديدة[1].

2- **الخلوتية:** ظهرت في المشرق وبالتحديد في تركيا والشام ومصر على يد محمد الخلوتي الفارسي (ت 1398م)، انتشرت في الجزائر منذ أواخر العهد العثماني في النصف الأخير من القرن 18م ، تميزت هذه الطريق بتشجيع الثقافة وطلب العلم ونشره[2].

3- **الرحمانية :** وهي عبارة عن طريقة صوفية تفرعت عن الخلوتية، ثم نسبت إلى مؤسسها سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري الجرجي[*](1720-1793م) الذي تعلم ببلاد القبائل ثم اتجه للمشرق وبقى هناك ثلاثين سنة حيث أدى فريضة الحج ودرس بالجامع الأزهر فدخل الطريقة الخلوتية بعد تأثره بالشيخ محمد بن سالم الحفناوي، وبعد تصوفه عاد إلى الجزائر وقام بنشر طريقته التي عرف باسمه في مدينة الجزائر وفي آيت إسماعيل ببلاد القبائل، كما انتشرت طريقته بواسطة تلاميذته في الشرق الجزائري بقسنطينة ونواحي سطيف والبرج وأولاد جلال والوداي وخنقة سيدي ناجي[3].

4- **السنوسية:** وهي طريقة صوفية انبثقت عن الخادرية ** تأسست من قبل محمد بن علي السنوسي بن العربي المستغانمي (1798م) ولد بمستغانم وتعلم هناك ثم توجه إلى مدينة فاس ثم إلى مصر والحجاز التي أسس بها أول زاوية له بجبل " أبي قبيس " قرب مكة ، كما كانت له زاوية في واحة الجعبوب[1].

---

(1) عبد الرحمان تركي، المرجع السابق ، ص 554.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق ، ص 15.

(*) ولد سنة 1720 وهو من قبيلة آيت سماعيل ، التي كانت جزءا من حلف قشتولة في قبائل جرجرة درس في مسقط رأسه ثم بالجزائر.

(3) عبد الرحمان تركي، المرجع السابق، ص 17.

** تأسست الخادرية على يد الشيخ عبد العزيز الدبار المولود بالمغرب الأقصى سن 1683م ، حيث تعلم هناك وأخذ التصوف عن سيدي محمد بن سعيد البوسني المصري خرجت منها الطريقة المغرانية لأحمد صالح المغراني وزاوية أولاد شافع بالغرب الجزائري، واسم الخادرية لم يكن معروفا إلا في أوساط المثقفين ، وعرفت باسم السنوسية عد عامة الشعب.

(1) عبد الرحمان تركي، المرجع السابق ، ص 17.

وتجدر الإشارة إلى أن الطريقة السنوسية كان لها أتباع كثر في الجنوب الشرقي من الجزائر كما انتشرت في مناطق أخرى من الجزائر في بوغار، وبوسعادة ، تيزي وزو .

5- التيجانية : تنسب إلى أبي العباس احمد التيجاني المولود بعين ماضي بالجزائر سنة1150هـ-1737م، اتجه إلى فاس ثم إلى الحجاز سنة 1186هـ كان له نشاط صوفي هام في فاس ، حيث أخذ التصوف عن العديد من الشيوخ مثل : المبروك بوعافية ي عين ماضي ، مولاي الطيب الوزان بالمغرب العربي بن عبد الله الأندلسي القادري، محمد بن عبد الله التزاني، أحمد الحبيب السجلماسي، والأبيض سيدي الشيخ وغيرهم من الشيوخ الذين أخذ منهم مبادئ الطرق الصوفية: القادرية ،الشاذلية، الطيبية، الناصرية، الصديقية، و الخلوتية لذلك فالطريقة التيجانية هي نتاج للعديد من الطرق التي اخذ عنها الشيخ المؤسس.

وقد عرفت الطريقة التيجانية انتشار واسع لها في جنوب الجزائر في كل من عين ماضي والأغواط ، توقرت ، ورقلة ، وادي سوف[2] .

6- الشاذلية : تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي انتشرت في مناطق عديدة من الجزائر بفضل الشيوخ الذين اخذوا بها منهم : عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر، وعبد الرحمان الأخضري ببسكرة، ومحمد الهواري بوهران ، محمد السنوسي بتلمسان ، أحمد بن يوسف الملياني بالجنوب الغربي للجزائر [3].

كانت هذه أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في الجزائر والتي كان لها دور هام في نشر الأخلاق والثقافة والحفاظ على التراث العربي الإسلامي كما ساهمت في تماسك أفراد المجتمع واتحادهم خاصة خلال فترة الاستعمار مثل الطريقة القادرية التي تصدت للاحتلال الفرنسي ، ودعت الجماهير للجهاد والدفاع عن الوطن .

---

[2] عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص 19.
[3] عبد الرحمان تركي: المرجع السابق، ص 558.

مما سبق يتضح أن التصوف مر بمراحل وتطورات عديدة حتى وصل إلى ما وصل إليه من تطور ، كما أنه أخذ ينتشر بالتدريج في أنحاء العالم الإسلامي بفضل الشيوخ والعلماء الذين استطاعوا بطرقهم كسب أعداد كبيرة من الأتباع والمريدين وقد لاحظنا أن الظروف التي سادت في الجزائر تلك الفترة ساعدت على التفاف الناس حول الطرق الصوفية آملة في إيجاد قوة تحميها وتكون سندا لها في المواقف العصيبة.

خاتمة الفصل الأول:

إن الاختلاف في مفهوم التصوف وتاريخ ظهوره يدل دلالة واضحة عل أهميته ودوره البارز في مختلف النواحي ، فالتصوف وإن اختلفت مفاهيمه وأصوله لا يمكن أن يخرج عن نطاقه الديني ، فهو كما يقول أحد المؤرخين العرب:" إن لفظ التصوف من الناحية الإسلامية ، نظير كلمة الدين ....." [1].

فالتصوف هو منهج حياة يبحث في النفس الإنسانية وصفائها وتجريدها من كل ما يبعدها عن الله جلا وعلا، وعلى هذا الأساس فإن التصوف الصحيح هو الإسلام، ومن هذا المنطلق فإن التصوف الإسلامي أخذ يتطور من فترة لأخرى، حتى ارتبط بمفاهيم شتى فأصبحنا الآن لا نستطيع دراسة التصوف دون الإشارة إلى الطرق الصوفية، ودون التحدث عن الزاوية ومفاهيم أخرى عديدة كالمقامات والأحوال، والرموز الصوفية، فالزاوية هي منطلق التصوف والمكان الذي ندرس فيه مبادؤه ومناهجه والطريقة هي الأسلوب العملي لتوجيه ورعاية سلوك المريد عن طريق إتباع مناهج ومبادئ معينة، يندرج فيها المريد عبر مراحل تعرف بالأحوال ويتوقف عند محطات تسمى بالمقامات.

وجملة القول أن التصوف يعتبر العلاج الأمثل للنفوس وصلاحها وبالتالي صلاح المجتمع ورقيه.

[1] السيد حسين نصر، الصوفية بين الأمس واليوم، م.د 11 لجامعة أدرار، ص 20-21.

الفصل الثاني:

تمركز بعض الطرق الصوفية بإقليم توات

1/ البنية الجغرافية والديموغرافية لإقليم توات

2/ الطريقة الشاذلية و فروعها

3/ الطريقة التيجانية والسنوسية

4/ الطريقة القادرية وفروعها

5/ دور الطرق الصوفية بتوات

الفصل الثاني: تمركز بعض الطرق الصوفية في إقليم توات

عرفت منطقة توات كغيرها من المناطق في الجزائر انتشارا واسعا للطرق الصوفية، التي كان لها نشاط كثيف بها ، فقد ظهرت بالمنطقة طرق صوفية عديدة كالطريقة الشاذلية، والقادرية، التيجانية وغيرها من الطرق المتفرعة عنها، والتي لعبت دورا كبيرا في منطقة توات شمل مختلف النواحي، خاصة وأن الظروف في الإقليم كانت مناسبة، جعلت السكان يتعلقون بشيوخ الطرق الصوفية إلى حد التقديس، وهذا ما تدل عليه عاداتهم وتقاليدهم ومعاملاتهم اليومية، وليس هذا فحسب، فقد وصلت الطرق الصوفية إلى أقصى جنوب توات ومنه إلى المناطق المجاورة في غرب إفريقيا التي تأثرت هي الأخرى بظاهرة التصوف.

هذا ما سنتناوله في هذا الفصل الذي سنتعرف في بدايته على التكوين الجغرافي والديمغرافي لمنطقة توات، ثم نتعرض بالتفصيل في باقي المباحث للطرق الصوفية التي انتشرت في المنطقة والآثار التي تركتها في المجتمع التواتي.

المبحث الأول : البنية الجغرافية والديمغرافية لإقليم توات

أصل التسمية :

اختلف المؤرخون حول أصل تسمية " توات "، حيث وردت عدة روايات في ذلك، فحسب عبد الرحمان السعدي[1] أن سلطان مالي " كنكان موسى " اتجه للحج رفقة جماعة من أهل بلده ، ولما وصلوا لهذه المنطقة أصيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فأصبحت تسمى باسم توات.

ويُرجع سيدي محمد بن عبد الكريم التمنطيطي[2] تسمية توات نسبة إلى الأتوات وذلك أن آخر ملوك الموحدين المهدي أمر عامله بجمع المكوس والمغارم

---

[1] عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، د.د.ن، باريس:1981، ص7.

[2] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط موجود بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي بقصر كوسام، ص9.

من أهل الصحراء، فاستضعفوا وقالوا " لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة " فأمر عامله أن يجمع الرطب والعنب ومختلف الثمار، وعاود ذلك في العام الثاني حيث طلب من عامله قبض الأتوات كيلا ووزنا، فعُرف أهل ذلك القطر بأهل الأتوات، ويضيف التمنطيطي[1] إلى ذلك قائلا: " التوت هو الفاكهة والجمع أتوات فعرف أهل هذه البلدة بأهل الأتوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه".

ويورد مولاي احمد الطاهري[2] في مخطوط نسيم النفحات أن سبب تسميتها بذلك الاسم لأنها تواتي للعبادة أي تليق بها، فكل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة.

أما احمد العماري[3] فيقول أن اسم توات بربري الأصل ويعني " الواحات"

ويبدو أن الرواية الأخيرة هي أقرب إلى الصواب من باقي الروايات، فالمرض الذي أصاب القوم كان معروفا عندهم من قبل، أما نسبتها للأتوات فليست هي المنطقة الوحيدة التي كانت تدفع الأتوات حتى يلتصق بها هذا الاسم، كما أن العبادة يمكن أداؤها في كل منطقة وعلى كل أرض.

والمؤكد أن معظم قصور توات اسمها بربري الأصل مثل : تمنطيط–تيميمون–تيمقطن، لذلك لا يستبعد أن يكون أصل تسمية المنطقة بربري.

<u>**2- موقع منطقة توات:**</u>

تضم منطقة توات ثلاث أقاليم: قورارة، توات الأوسط وتيديكلت[*]، لذلك فهي تمتد من منطقة تبلكوزة بإقليم قورارة شمالا إلى فقارة الزوا بإقليم تيديكلت جنوبا، وبهذا فان منطقة توات تقع في الجهة الشرقية للقسم الجنوبي من وادي الساورة، في

---

(1) محمد عبد الكريم التمنطيطي: المصدر السابق،ص10.

(2) احمد الطاهري الإدريسي: <u>مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات</u>، مخطوط خزانة كوسام، ص 12.

(3) احمد العماري: <u>توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب (1850-1902)</u>، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس: بدت، ص11.

(*) قورارة منطقة تمتد من قصر تبلكوزة شمالا إلى قصر تسابيت، وتيديكلت من قصر فقارة الزوا بعين صالح إلى رقان، أما توات فهي وسط بينهما.

جنوب غرب الصحراء الجزائرية يحدها شمالا العرق الغربي الكبير ووادي الساورة ، وعرق الراوي ومن الجنوب الغربي يحدها عرق شاش وسبخة مكرغان وصحراء تنزروفت من الجنوب الشرقي وغربا يحدها واد مسعود، وشرقا هضبة تادمايت، وبهذا التحديد فان منطقة توات تمتد بين خطي طول 01 شرقاً و04 درجة غرباً وبين دائرتي عرض 26 و30 درجة شمالا [1].

كما يشتمل إقليم توات على ثلاثة أودية تغذي الفقاقير[*] والآبار من مياهها الجوفية وهذه الأودية هي: وادي مقيدون[**] الذي ينتهي بمنطقة قورارة ، ووادي مسعود الذي ينتهي بمنطقة توات ، ووادي قاريت الذي ينتهي بمنطقة تيديكلت.

تحتوي منطقة توات على تضاريس تتكون من العرق الذي يمتد بشكل واسع من الغرب إلى الشرق في القسم الشمالي لتوات، وتتخلل المنطقة تضاريس الحمادات وهي أرض مستوية تغطيها طبقة من الحصى ، هذا بالإضافة إلى بعض المرتفعات المتمثلة في الهضاب المنتشرة بين توات وتديكلت، كما توجد بالمنطقة مظاهر تضاريسية أخرى كالأحواض والسبخات والكثبان الرملية[2].

وبما أن المنطقة صحراوية فهي تتميز بمناخ حار وجاف صيفا و بارد شتاء، وقد كان لهذا المناخ تأثير مباشر على الغطاء النباتي للمنطقة ، لهذا تنتشر بها النخيل الذي يتحمل الحرارة المرتفعة ، كما أن سكان المنطقة تأقلموا مع المناخ الحار، فبنوا بيوتهم بالطوب المصنوع من الطين والتراب ؛ لكن يزداد خوف التواتيون عند سقوط الأمطار من احتمال انهيار مساكنهم[3].

---

[1] عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر: 2005، ص17.

[*] الفقارة مشتقة من كلمة فجر وحرفت إلى فجارة، وهي تتكون من عدة آبار تربط بينها أنفاق ، تعتبر أسلوب خاص في سقي الأراضي. الزراعية للمزيد ينظر : " ميزوري محمد " اجتماعات وتاريخ " مجلة الأحياء، ع/1، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، ص 31.

[**] يعتبر وادي مقيدون امتداد لوادي سفور الذي ينبع من المنيعة وينتهي في منطقة قورارة مكونا سبخة القورارة أما وادي مسعود فهو امتداد لوادي الساورة وعندما يصل إلى مقاطعة تسفاوت يكون سبخة، وفيما يخص وادي قاريت فيأتي من الشمال الشرقي لتيدكلت ويلتقي في نهايته بوادي مسعود ويصبح رافدا له. أنظر: فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18و19م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1977، ص30.

[2] احمد العماري: المرجع السابق، ص 13-14.

[3] احمد الحمدي،المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره(870-909هـ)،رسالة ماجستير،جامعة وهران، 2000/1999، ص 10.

3- المجتمع التواتي:

ينقسم سكان توات إلى عدة أقسام هي:

1- الأحرار: كان هؤلاء قبل مجيء الاستعمار الفرنسي أسياداً على السود الحراثين فاحتكروا كل ثروات المنطقة، والأحرار أنفسهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الشرفة ، المرابطين، العرب والزناتيين (البربر)(1).

فالشرفاء والمرابطين يملكون معظم خيرات البلاد، وهم من أغنى الطبقات وأرقاها باعتبارهم ينحدرون من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينتمون إليه عن طريق ابنته فاطمة(2) ، وقد دخل البربر إلى توات قبل دخول الإسلام، أما العرب فدخلوها قصد نشر الإسلام وممارسة التجارة ثم استقروا بها، وكان عرب المعقل أول من وصل منهم إليها ، ثم تلتها قبائل أخرى كقبيلة الكنتة في القرن 7هـ – 13 م ، الذين استقروا بزاوية كنتة وقبيلة أولاد على بن موسى القرشية بتمنطيط في القرن 9هـ 15 م(3).

هذا ونجد هذه الطبقات تحافظ على مرتبتها في المجتمع، ويحتقرون طبقة الحراثين والسود، ويرفضون أي نوع من الاستيعاب للتقدم والتطور لهذه الطبقات، كما نجدهم على الرغم من قلتهم يتمتعون باحترام الجميع وكان لهم دور فعال في الفصل في المنازعات كما نجدهم وعلى الرغم من قلتهم أيضا يتمتعون باحترام الجميع، وكان لهم دور فعال في الفصل في المنازعات والخصومات ، وكل شخص بتوات يطلب رضاهم(4).

2- الحراثين : هم الأحرار من الدرجة الثانية وهم أبناء السود ، حُرروا من طرف أسيادهم سواء لكبر سنهم أو لعدم صلاحهم لشيء أو لأسباب أخرى كالخوف من الله أو رحمة من أسيادهم، وأصل تسمية الحراثين من الحر الثاني بمعنى العبيد

(1) A.selka : Notice sur le touat, p.527
(2) A.G.P Martin : quatre siècles d’histoire Marocain Sahara de 1504a1902, Paris, p1-3.
(3) عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 19.
(4) A G.P Martin: Oasis sahariennes, Edition Algèrienne, Alger, p 70-72.

المحررين، وكثيرا من هؤلاء الذين حرروا لم يكونوا يعرفون ما سيفعلون بحريتهم؛ فمعظمهم يبقون عند أسيادهم ويستمرون في خدمتهم، فيمنحون لهم بساتين للعناية بها، ويُعتبرون خماسين، لكن هذه الطبقة بدأت ترد الاعتبار لنفسها بالتدريج وأخذت تخلق نوع من الرخاء والغنى لنفسها، فهي الطبقة النشيطة بتوات، واشترى العديد منهم أملاك أسيادهم واستماتوا في خدمتها من أجل الحصول على مكانة محترمة في المجتمع التواتي[1].

<u>3- **العبيد***</u> : وهم الذين جيء بهم من السودان ، حيث يتم بيعهم في أسواق توات بأثمان دنيئة ، يعملون ويعتنون بأملاك وأراضي أسيادهم، كما يُستعملون في الوظائف التي تتطلب مجهود عضلي كبير كشق الآبار وبناء القصبات أو العمل في البساتين ورعي المواشي، ومعظم هؤلاء السود من قبيلة " فولان"، "بامبارا"، " موشي" الهوسا"، " السرفو"، " الفوتا "[2].

استناداً على ما سبق فإن منطقة توات وجدت فيها ثلاث لهجات أساسية هي: اللغة العربية التي مزجت بكثير من الكلمات الغريبة، والزناتية(البربرية) إضافة إلى الكورية التي يتكلمها السود السودانيين[3].

ونجد سكان توات يسكنون في قرى تسمى" بالقصور" بحيث يحتوي القصر على مساكن الأشخاص العوام والمزارعين و الحراثين والسود، في حين نجد العائلات التي لها مكانة اجتماعية تسكن بالقصبة ** وكثيرا ما كانت تستعمل القصبة لرد الهجوم ضد العدوان والدفاع عن النفس[4]، كما أن القصبة قد تكون مرتبطة بالقصر أو منفصلة عنه، فكل عائلة لها مكانة اجتماعية واقتصادية تستطيع الحصول على

---

[1] Karl Suter: <u>Etude sur la population et l'habitat d'une région du Sahara Algèrien</u> p448.

* العبد في الإسلام هو الأسير الذي سقط في يد المسلمين أثناء الجهاد أو الذي يحمل إلى دار الإسلام على كفره ويباع في سوق النخاسة.

[2] أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 25-26.

[3] A.selka: op.cit, p 524.

** للقصبة شكل مربع أو مستطيل تحتوي على أربعة أبراج في كل زاوية برج، صورها الخارجي عالي ومحاط بخندق عميق.

[4] أحمد العماري، المرجع السابق، ص17 .

قصبة أو بنائها لذلك فان العديد من القصبات تحمل اسم صاحبها مثل : قصبة القايد، وكذلك القصور لها أسماء وهي عديدة يفوق عددها 300 قصر .

ورغم انقسام سكان توات إلى أقسام وأجناس عديدة إلا أن حياتهم الاجتماعية تميزت بمتانة العلاقات التي كان يسودها الود والتراحم والتآخي والتعاون، واشتهروا بإكرامهم للضيف ، وتمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم التي تدعوا أساسا إلى الاحتشام والتستر وهي مستمدة في معظمها من تعاليم الدين الإسلامي لهذا نجدهم شديدي الحرص على تطبيقها والالتزام بها[1].

وقد عرفت الحياة السياسية * بتوات اضطرابا تبعا لما كان يحدث من اضطرابات سياسية في شمال المغرب الإسلامي لكن إلى غاية القرن 18 م وما بعده كان الحكم في المنطقة يعود لشيخ اكبر المقاطعات** حيث كان شيوخ تمنطيط يمثلون ذلك ثم جاء بعدهم شيوخ تيمي بعد إن أصبحت من أقوى المقاطعات التواتية [2].

أما الحياة الاقتصادية بتوات فتميزت بالازدهار، بفضل موقعها الجغرافي الذي يتوسط الطرق التجارية بين بلدان المغرب وبلاد السودان الغربي ، كما تتميز توات بكثرة المياه المتمثلة في الفقاقير ، لذلك ازدهرت الزراعة ، خاصة التمور[3] كما اهتم التواتيون بممارسة الصناعات الحرفية كالأبسطة النسيجية المعروفة " بالدكالي" وصناعة السلال والحصر والقفف من سعف النخيل [4].

كما عرفت منطقة توات حركة علمية متطورة ، حيث ظهر بها علماء ومشايخ كان لهم دور كبير في إحياء الحياة الثقافية بالمنطقة من خلال تأسيسهم لمراكز

---

(1) عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 28.

* خضعت منطقة توات منذ القرن 7 هـ - 13 م إلى عرب المعقل ومنذ القرن 9 هـ - 15 م أصبحت توات تحت سلطة القضاة وكان قاضي الجماعة بها هو الشيخ يحي بن يديم، انظر: احمد الحمدي: المرجع السابق ، ص 50-56.

** المقاطعة عبارة عن مجموعة من القصور المتجاورة يشرف عليها شيخ المقاطعة

(2) فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 27.

(3) أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 44.

(4) فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص43.

علمية هامة كالمدارس والزوايا التي كانت تدرس علوم عديدة كالفقه والتوحيد والمنطق والتصوف وعلم الكلام والحساب، وتخرج منها العديد من العلماء الذين ساهموا في نشر الإسلام واللغة العربية ومن هؤلاء العلماء: الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم التمنطيطي (1042هـ-1133هـ) ، مولاي أحمد بن يحي دفين قصر با عبد الله ،الشيخ عبد الكريم المغيلي سيدي محمد بن علي الرقادي دفين زاوية كنتة، مولاي سليمان بن علي دفين أولاد أوشن، الشيخ أبي الأنوار بن عبد الكريم التنلاني [1].

والشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني (ت 1189هـ) الشيخ سيدي أحمد ديدي والشيخ سيدي الحاج محمد بن الكبير (1330هـ - 1421هـ) ولا أدل على نشاط الحركة الثقافية بتوات من احتوائها على كتب ومخطوطات تاريخية ودينية تعتبر اليوم مصادر علمية هامة للدارسين والباحثين.

بناء على ما سبق نخلص إلى أن منطقة توات اجتمعت فيها كل الظروف التي سهلت انتشار الطرق الصوفية فيها، بداية من موقعها الجغرافي وطبيعة تكوين مجتمعاتها إلى ازدهار النشاط الاقتصادي بها فكانت فعلاً أرضا خصبة استطاع مشايخ الطرق الصوفية زرع أفكارهم بها فانتشرت الطرق الصوفية على نطاق واسع في المنطقة، وكان لها أتباع ومريدون ومقاديم في كل مكان .

---

[1] محمد بن عبد القادر بن يوسف التنيلاني: مخطوط الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء و الأشراف ، خزانة سليماني بأدغا.

المبحث الثاني: الطريقة الشاذلية وفروعها

منذ أن دخلت الطرق الصوفية لمنطقة توات وانتشارها، أصبحت الحياة الروحية بالإقليم تقوم على نشاط هذه الطرق التي قادها مشايخ أجلاء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة بالإقليم، ومن هذه الطرق الطريقة الشاذلية.

يرجع تأسيس الطريقة الشاذلية إلى أبي القاسم الجنيد* الذي تأثر به الشيخ أبي مدين شعيب الأندلسي (ت 594 هـ) والذي تتلمذ على يده الشيخ عبد السلام بن مشيش **(1) ، وفي حقيقة الأمر يعود مصدر الطريقة الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الثلاث الذين تأثر بهم أبو الحسن علي الشاذلي *** (593-1196 م)، ، والذي استتد إلى أفكارهم وأرائهم لتكوين الطريقة المعروفة بالشاذلية والتي نُسبت إليه وأصبحت تسمى باسمه.

انتشرت هذه الطريقة بشمال أفريقيا ، ومنها إلى غرب أفريقيا، ثم إلى مصر فالمشرق العربي .

كما أن الذكر في هذه الطريقة الشاذلية يقوم على أساس الاستغفار والصلاة والسلام على رسول الله مئة مرة " اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي"، والشهادة عشر مرات كل صباح ، إضافة إلى عقد اجتماع كل أسبوع (2).

وتفرعت عنها طرق عديدة منها : الزرقية نسبة إلى الشيخ أحمد زروق الفاسي (ت899 هـ)، العيساوية نسبة إلى الشيخ مجمد بن عيسى ، الحنصالية نسبة إلى الشيخ سعيد بن يوسف الحنصالي (ت 1702م) .

---

* أصله من نهواند وولد في بغداد .

** ولد سنة 525 هـ، نشر مذهبه في إفريقيا الشمالية، توفي سنة 625، وله عدة مؤلفات.

(1) إدريس بن خويا، المرجع السابق، ص 464.

*** سمي كذلك نسبة إلى قرية شاذلة بتونس التي أقام بها بعد عودته من المشرق العربي أصله من المغرب الأقصى .

(2) إدريس بن خويا، المرجع السابق، ص 464.

ومن فروع الطريقة الشاذلية في منطقة توات: الموساوية، الطيبية، الزيانية، الشيخية ، الصادقية[1] .

فروع الشاذلية بتوات :

1- الموساوية (الكرزازية)*

تنسب إلى مؤسسها سيدي احمد بن موسى الكرزازي (895 هـ - 1013 هـ)(1475م-1604 م) ، ولد بفاس ، حفظ القرآن وتعلم مختلف العلوم عن الشيخ محمد بن أحمد بن غازي المكناسي والشيخ أبو العباس أحمد بن قاسي الغصاني وعلماء آخرين اخذ منهم علوم عديدة ، كما اخذ التصوف عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي، والشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني ، واتجه بعد ذلك إلى قرية سيدي موسى حيث أسس زاوية لطلاب العلم [2]، أصبحت زاويته مشهورة بواسطة حفيدة سيدي عبد الرحمان بن محمد بن سيدي احمد بن موسى المعروف بابي فلجة.

يعتمد ورد سيدي أحمد بن موسى على كثرة التسبيح والصلاة على النبي، بعد الفريضة بحيث تتم قراءة الرموز**والتسبيح مئة مرة، ويقال أن سيدي أحمد بن موسى كانت له سبحتان أحداهما قصير لدوام الذكر مكونة من مئة تسبيحة يكون بعد كل صلاة والأخرى مكونة من ألف تسبيحة بعد صلاة العشاء ثلاث مرات [3].

بناء على ذلك يجتمع الموساويون بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، يجعلون صفين : الصف الذي يكون فيه أمير الحضرة يستقبل القبلة والصف الثاني مواجه للصف الأول، يبدؤن وردهم بالذكر حيث يبدأ الحضرة بالصلاة

---

(1) مقلاتي عبد الله: الطرق الصوفية بالجزائر ، م.د 11، ص 512.

* كرزاز: مقر زاوية الشيخ سيدي أحمد بن موسى توجد على بعد 250 كم عن مدينة أدرار ، أنظر : مولاي التهامي غيتاوي : الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى ، دت ، ص 39.

(2) مولاي التهامي غيتاوي ، المرجع نفسه ، ص 48 .

** الرمز مميز أشعار الصوفية ، وهو يعتمد على التلميح دون التصريح والرمز في الطريقة الكرزازية يكون بين التصلية والذكر ، انظر: محمد عبد الكريم الكرزازي، المصدر السابق.

(3) محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربي ، الجزائر: 2007، ص 191.

على النبي صلى الله عليه وسلم، وينطق معه نصفا من الصفين الموجودين على اليمين أمير الذكر والنصفين الشماليين ينصتون؛ وعندما ينصت الصفان الأولان يبدأ النصفان الآخران، وهكذا يكون الأمر بينـهم في التصلية وفي الرموز ما عدا الذكر وعند الانتهاء يشرعون في الذكر حيث يبدأ أمير الحضرة بالذكر وينطق معه الصفين بصوت واحد وتختم الحضرة بالصلاة على النبي فالصف الذي مع أمير الحضرة يقول: ونختم بالسلام، والنصف الثاني يقول: على النبي محمد يكررون ذلك عشر مرات والعاشرة يقولون جميعا الصلاة والسلام ، وأضيف إليها كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثلاث مرات[1] وحاليا أصبح الكرزازيون يقيمون الحضرة ثلاث شهور في فصل الشتاء، من صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وابتداء من يوم 28 فبراير تقام الحضرة كل يوم خميس وتسمى باليتيمة ويعرف يوم 28 فبراير يوم خروج الحضرة [2].

أما طريقة التلقين في الطريقة الكرزازية فتتم بأخذ المريد الحبـة من السبحة بيمينه حين يدفعها له الشيخ بشماله أثناء التلقين، يفعل ذلك عدة مرات ولا يقوم من أمام الشيخ حتى ينطلق لسانه بالذكر ويحفظه[3].

والغرض من هذا هو تدريب المريد على النطق الصحيح لما يسمعـه مـن الشيخ في وقت قصير وإرشاده إلى طريقة تمرير خرزات السبحة أثناء التلقين دون خلل وتعطيل وبالنسبة لدخول الطريقة الكرزازية إلى منطقة توات، فكان عن طريق بعض أعيان وأولياء الله الصالحين منهم الشيخ سيدي عومر بقصر بودة وسيدي الميموني* وسيدي بن با صالح ، وسيدي بوعلالة وسيدي المهدي

---

[1] محمد بن عبد الكريم الكرزازي، المصدر السابق.

[2] محادثة شفهية مع مقدم الطريقة الكرزازية بأدرار سليماني علي يوم 2010/02/25. على الساعة الثالثة مساء بمقر محو الأمية.

[3] محمد بن عبد الكريم الكرزازي، المصدر السابق.

* هو ذو سلوك حسن كان يلقن الناس السر الذي فتح الله عليه من شيخه سيدي أحمد بن موسى ، انظر: محمد الصافي بن البركة: مخطوط تحفة أولياء الله الصالحين، خزانة سليماني بأدغا.

بوشنتوف انتشرت الطريقة في توات بفضل هؤلاء خاصة في قصور أدغا، بودة، تيمي، تسابيت[1] .

وللزاوية الكرزازية مقاديم* بمنطقة توات يعينهم شيخ الزاوية وكان مقدم الزاوية سنة 1830 م بوجلان تسابيت سيدي حمو بن أبا حيدة الوجلاني، عينه الولي الصالح سيدي محمد بن سيد أحمد بن موسى، ثم خلفه ابنه من بعده ثم حفيده وهكذا إلى أن انتقلت إلى سيدي محمد بن الحاج أحمد سنة 1905 م بعد أن عينه سيدي أبو فلجة، وفي بودة عين سيدي البدوي ومن بعده أخيه سيدي محمد عبد الكريم ثم إلى ابن عمه سيدي محمد بن احمد ومن بعده أصبح سيد الحاج احمد مقدما للطريقة وذلك في سنة 1875 م، وفي قصر أدغا كان مقدم الزاوية هو محمد بن أمحمد ثم الصافي ثم الحبيب، ثم محمد ومن بعده الصافي أما حاليا فمقدم الطريقة في أدغا هو السيد سليماني علي الذي عين من طرف الشيخ سيدي أحمد بن موسى.

وبخصوص زيارة شيخ الزاوية الكرزازية لتوات فإن هذه الزيارة غير محدودة العدد إلى أن يأتيه السر يتوقف عن الزيارة، وعند دخوله لمنطقة توات يتجه ابتداء من عريان الرأس بتسابيت إلى زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي بزاوية كنتة، مرورا بتمنطيط، ثم أولاد إبراهيم ، ثم قصر أدغا وقصر بودة، ثم يرجع إلى كرزاز .

كما تعقد زيارة موسمية بالزاوية الأم بكرزاز، يلتقي فيها الشيوخ والمريدين والمقاديم للنظر في أمور الطريقة من الناحية الروحية والاجتماعية [2] ، وذلك يوم أسبوع المولد النبوي الشريف من كل سنة.

وللطريقة الكرزازية بتوات نفوذ كبير مكنها من مقاومة الفرنسيين ومؤيديهم، كما كانت لها مواقف متصلبة ضد كل ما يصدر من قبلهم[1]،

---

[1] محادثة شفهية مع مقدم الطريقة الكرزازية بأدرار سليماني علي يوم 2010/02/25. على الساعة الثالثة مساء .

* هو من ينوب عن شيخ الطريقة، في المناطق البعيدة عن مقر الزاوية، ينوب عنه في تلقين أوراد الطريقة.

[2] محمد الصافي البركة: المصدر السابق.

وتؤكد الإحصائيات أن لهذه الطريقة ألفين وتسعمائة وأربعة وعشـرون من الإخوان(2).

وتجدر الإشارة إلى أن للزاوية الكرزازية خدام(الوقاف) كثيرون ينتشرون في الغرب والجنوب الغربي منهم التواتيون، والغنانمة، والقصورية بوادي الساورة وغيرهم، فسكان توات حسب الجدول نجد أنهم لا يقدمون الكثير للزاوية بسبب فقرهم، فمعظمهم كانوا فلاحين في بساتين الزاوية بتوات، ومرافقين لقوافل الزاوية المتجهة إلى كرزاز (3).

2- الشيخية:

تأسست الشيخية من قبل الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد المولود سنة 940هـ1533 م بضواحي الشلالة الظهرانية، يعرف بـ "سيد الشيخ"، تعلم على يد والده الشيخ محمد بن سليمان بن أبي سماحة، وعمه الشيخ أحمد المجذوب، قرأ القرءان وأتقن حفظه، اتجه إلى قورارة ثم فقيق حيث اخذ عن العلامة سيدي محمد بن عبد الجبار بن احمد، والتقى مع محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر السكوتي، كما اخذ عن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي، الذي لقنه طريقته بسنده إلى أبي الحسن الشاذلي .

أسس الشيخ عبد القادر بن محمد زاوية ببلاد فقيق سماها "العباد" وزاوية أخرى سماها "السهلي "، بالإضافة إلى زوايا أخرى في الأبيض سيد الشيخ، فكانت مكانا يأوي إليه الفقراء والزائرين والضيوف، ومكانا للتربية والتعليم، وللشيخ علاقات متينة مع الشيخ سيدي احمد بن موسى (4) .والشيخ أبي محمد دفين تبلكوزة والشيخ عثمان دفين تيميمون، توفي سنة 1025هـ –1616 م مخلفا أثارا عديدة فـي التصوف منها: قصيدة الياقوتة، عدد أبياتها مئة وثمانية وسبعون بيتا تحتوي على أغراض في

---

(1) AG.P.MARTIN: Quatre Siécles, op.cit .p.15.

(2) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، دار الغرب الإسلامي،بيروت: 1998، ص 89.

(3) مولاي التهامي غيتاوي:ا لمرجع السابق، ص 104.

(4) طواهرية عبد الله: تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي، بدت، ص 39-48.

العقيدة، والعهد الصوفي ومواهبه، قصيدة الحضرة، عدد أبياتها أربعة وعشرون بيتا تتضمن أوراد طريقته ورسالته في التصوف، وهي عبارة عن رد على سؤال في أصول الطريقة والعهد والتلقين [1] .

وللطريقة الشيخية ورد يقوم على أساس قراءة سورة الفاتحة مرتين، سورة النصر مرتين، ثم الذكر بترديد: استغفر الله إن الله غفور رحيم مئة مرة، سبحان الله وبحمده مئة مرة، لا اله إلا الله مئة مرة، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما عشر مرات، الصلاة على النبي مئة مرة، ثم يقول: لبيك لبيك اللهم لبيك وسعديك، الخير كله بين يديك فإني عبدك ممتثل لأمرك (مرة)، بسم الله الرحمان الرحيم (مئة مرة)، وعند إتمام الذكر يقول: اللهم إني أسالك بحقك السريع المجيب القريب الذي خزنت به مفاتيح رحمتك وخواتم إرادتك وسرعة إجابتك ياسر يع لمن قصده ويا قريب لمن سأله ويا مجيب [2] .

أما طريقة التلقين والأخذ في الشيخية، فتتم بمصافحة المريد للشيخ، ثم يخلو به مقدم ويعلمه منهج الطريقة والسبيل الذي يسير عليه، ثم يغتسل وينوي أنه خرج عما كان فيه من سوء أحواله وأقواله، ويلازم صحبة الأخيار ويلتزم بالفرض ويجدد التوبة مع الاستغفار، ثم يلقنه الشيخ الذكر ويلبس الخرقة، ويأمره بالتزام التقوى والطاعة واجتناب المعصية والبحث عن ما يرضي الله سبحانه وتعالى [3] .

انتشرت الشيخية بتوات عن طريق تلاميذ الشيخ عبد القادر بن محمد، المنتشرين بالإقليم منهم الحاج أبو حفص الذي نشر الطريقة بقورارة، ومحمد عبد الله الجوزي دفين أولاد سعيد [4] . ونلفت الانتباه إلى أن الشيخية منتشرة بشكل واسع

---

[1] طواهرية عبدالله: المرجع السابق، ص 57.
[2] أحمد بن أبي بكر السكوني الشريف الفيقيقي: تقوية إيمان المحبين ، تح: طواهرية عبد الله،دط، دار الأديب للنشر والتوزيع، بدت، ص 212-213.
[3] نفسه، ص 69.
[4] محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 202.

بإقليم قورارة، أما في توات فهي قليلة جدا، ومقدمها الحالي بتوات هو السيد طواهرية عبد الله .

3- الطيبية:

تنتسب إلى الشيخ مولاي الطيب بن سيدي محمد بن سيدي مولاي عبد الله الشريف الوزاني، ويعتبر هذا الأخير المؤسس الفعلي لها، ولد سنة 1005 هـ- 1597 م بتازرون ، انتقل إلى وزان و بها ضريحه ، أخذ عنه علماء كثيرون، ومن شيوخ هذه الزاوية: مولاي التهامي،مولاي الطيب، مولاي الهاشمي، مولاي العربي، مولاي المكي[1].

يتكون ورد الطريقة الطيبية من آيات قرءانية ، وحزب الشاذلي والمشيشية وحزب الشيخ احمد زروق ، وحزب محمد ن سليمان الجزولي[2] .

دخلت الطيبية إلى توات عن طريق محمد بن عمر المهداوي بتمنطيط، ثم انتشرت بالمنطقة خاصة بودة تمنطيط [3] ، وكان مقدم الطريقة بالمنطقة في القرن 19 م، هو سيدي أحمد بن احمد بن عثمان، وبالتحديد في سنة 1880 م من طرف عبد السلام بن العربي بن محمد الطيب الوزاني [4] .

4- الزيانية :

تأسست الطريقة الزيانية من قبل محمد بن بوزيان (ت1145) هـ بالقنادسة الذي تعلم في فاس وتافيلالت، ثم اتجه للمشرق العربي، اعتمد في طريقته على تعاليم الطريقة الشاذلية، بعد عودته من المشرق سنة 1098 هـ- 1686 م، ثم استقر بالقنادسة بولاية بشار حاليا، وبنى زاويته بها، حيث كانت مركز علمي هام يتوافد عليه الزوار وطلاب العلم من كل مكان [5] .

---

[1] محمد الصافي بن البركة، المصدر السابق.
[2] إدريس بن خويا: المرجع السابق، ص 475.
[3] محمد الصافي بن البركة: المصدر السابق.
[4] AG.P. Martin: Quatre Siécles, p12-13.
[5] عبد القادر بوباية، الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي، م د11لجامعة أدرار، ص 524-527.

دخلت الزيانية لتوات عن طريق عدد كبير من الشيوخ نذكر منهم: الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني (ت 1107 هـ) والشيخ سيدي عومر بن عبد القادر التنلاني، لكن انتشار هذه الزاوية بتوات محدود، فهي توجد بقصر رقان وبين بعض أفراد قصر تنلان [1] ملحق بعنوان (قصيدة التوسل بالأنوار).

5- **الصادقية :**

نظرا لمحدودية انتشارها لم نجد إلا القليل النادر عن هذه الطريقة فتشير المصادر إلى أن مؤسسها هو الشيخ بن عبد الصادق القاطن بتفلالت .

دخلت هذه الطريقة إلى توات في أوائل القرن 11 هـ على يد بعض شيوخ توات منهم: الشيخ سيدي علي بن حنيني الزجلاوي (ت 1118 هـ)، الشيخ بوسبع حجات البوداوي، وتنتشر هذه الطريقة في قصر بودة وقصر زاجلو بتوات الوسطى (زاوية كنتة)، وهي منعدمة في قورارة وتيديكلت[2] .

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن منطقة توات شهدت نشاط و انتشار واسع للطرق الصوفية وهذا ما نلاحظه من خلال تنوعها واختلافها، كما نلاحظ أن الكرزازية أخذت النصيب الوافر في المنطقة وخاصة توات الوسطى، عكس الفروع الصوفية الأخرى التي كان انتشارها محدودا في المنطقة، وربما يعود ذلك لسبقها الطرق الأخرى في الظهور والانتشار أو لنشاط الزاوية الأم بكرزاز وحرصها على الالتزام المستمر والمتواصل بتعاليم الطريقة.

---

[1] محمد الصافي بن البركة: المصدر السابق.
[2] نفسه.

المبحث الثالث :الطريقة التيجانية والطريقة السنوسية

1- الطريقة التيجانية:

تنتسب الطريقة التيجانية إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني* ، المولود سنة 1150هـ -1737 م، بعين ماضي قرب مدينة الاغواط التي تبعد بحوالي50 كلم عن الجزائر، حفظ القرءان في صغره، و درس العلوم الشرعية والأدبية وتضلع فيها، ثم اتجه بعد ذلك إلى فاس سنة 1171 هـ -1758 م للاستزادة والتوسع في العلوم المختلفة. وفي سنة 1187 هـ-1773 م قصد بيت الله الحرام وبعدها عاد إلى فاس فتلمسان واتجه إلى قصر أبي سمغون **سنة 1196 هـ-1781 م ، حيث وقع له الفتح العظيم وأذن له الرسول بتلقين الحق، وعين له الوِرد الذي يلقنه لعموم البشر، حسب اعتقاد أهل الطريقة (1).

ومن خلال رحلته هذه، أخذ التصوف عن العديد من الشيوخ في الجزائر والمغرب والمشرق منهم: المبروك بوعافية بعين ماضي، مولاي الطيب الوزاني بالمغرب (الطريقة الطيبية)، العربي بن عبد الله الأندلسي القادري (القاديرية)، محمد بن عبد الله التزاني (الناصرية)، أحمد الحبيب السجلماسي (الصديقية)، الأبيض سيد الشيخ (الشاذلية).

وبهذا نجد أن التيجانية هي نتاج لعدد من الطرق التي أخذ عنها الشيخ أحمد التيجاني(2) .

توفى التيجاني سنة 1230 هـ -1815 م بفاس بعد ما أسس زوايا كبرى في عين ماضي، وتيماسين بورقلة وأبي سمغون، اهتم التيجاني بنشر طريقته أثناء تنقله بين عين ماضي وأبي سمغون وتوات بالإضافة إلى تونس والصحراء والسودان

---

*نسبة إلى قبيلة التواجنة عشيرة أخواله.

** تقع جنوب غرب ولاية البيض.

(1) أحمد الأزمي: الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرنين 19م و 20م ، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب: 2000، ص 47-72.

(2) عبد الكريم بو الصفصاف: المرجع السابق،، ص19.

الغربي، حيث كان يؤسس الزوايا أحيانا ويعين المقدمين أحيانا أخرى[1].

وقد ترك التيجاني أثار هامة متمثلة في شرح قصيدة همزية الإمام البصيري ومؤلف جواهر المعاني والجامع، هي اليوم مصادر أساسية للطريقة التيجانية.

وبعد وفاة التيجاني تولى ابناه محمد الكبير ومحمد الصغير إدارة فرع الزاوية بعين ماضي، وقد انتشرت التيجانية بواسطة التجارة والتعليم، وعرفت بتسامحها واعتدالها، كما أنها عارضت سياسة الأمير عبد القادر ودخلت في خدمة الفرنسيين[2].

*** مبادئ التيجانية :**

للطريقة التيجانية مبادئ أساسية تقوم عليها وهي مستمدة من الكتاب والسنة ، وتتمثل في ما يلي :

–الحفاظ على مداومة الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة

– الالتزام بقراءة أوراد الطريقة حتى الممات .

–الأخذ من الدنيا بقدر الحاجة دون التوسع، وتجنب الانهماك في مطالبها حتى لا تتعدى حدود الله .

– أداء الصدقات وتعظيم الأولياء وعدم الاستهانة بالأموات.

– تجنب معادة الأرحام وعقوق الوالدين .

وبهذا نلاحظ أن هذه المبادئ لا تخرج من نطاق الكتاب والسنة وتعاليم الإسلام التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ووردت في القرءان الكريم وبالتالي الطريقة التيجانية هي أقرب ما يكون لنهج الإسلام الصحيح، وهي بعيدة كل البعد عن الغلو والتعقيد و الانحرافات التي جاء بها بعض الطرق [3].

---

[1] أحمد الأزمي: المرجع السابق ، ج1، ص 74.

[2] مقلاتي عبد الله: المرجع السابق، ص 514.

[3] زيزاح سعيدة، ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر:" الطريقة التيجانية نموذجا"، م . د .11 لجامعة أدرار، ص 572.

<u>* بعض الكرامات التي خص به الشيخ التيجاني:</u>

للشيخ التيجاني كما يعتقد أتباعه كرامات عديدة خص بها عن سائر الشيوخ، ولهذا يرى التيجانيون أن طريقتهم أفضل الطرق إطلاقا مما جعلهم يتميزون بالكبرياء، ويعتقدون أنهم أفضل الخلق، وهذا طبعا ليس من تعاليم ومناهج الدين الإسلامي، وعلى العموم فإن من بين كرامات الشيخ التيجاني أنه حسب اعتقادات التيجانيين- اجتمع بالرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة لا في المنام وانه اخبره بنسبه الشريف بقوله صلى الله عليه وسلم " نسبك إلى الحسين بن علي صحيح... "، كما يعتقدون بأن الرسول أخبره بأنه ومن رآه من الآمنين".

<u>* أوراد التيجانية:</u>

يعتقد التيجانيون أن الرسول هو أول من عين للتيجاني الورد الخاص بالطريقة وأذن له بتلقين الخلق ، وهو يشتمل على مجموعة من الأذكار والأدعية. يبدأ وقتها بعد صلاة الصبح إلى الضحى وبعد صلاة العصر إلى العشاء، وكل من فاته الورد لعذر مقبول يقضيه في النهار والليل، ومن تركه نهائيا تكون عاقبته سيئة، كما يشترط عند التيجانية أن لا يلقن الورد لمن له ورد من أوراد طرق أخرى[1]، ويتكون الورد التيجاني مما يأتي:

1- الاستغفار (استغفر الله) مئة مرة.

2- الصلاة على رسول الله بأية صيغة مئة مرة ، و يفضل أن تكون بصلاة الفاتح لما أغلق * وهي : " اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ".

3- الهيللة مئة مرة والمقصود بها كلمة "لا اله إلا الله "[2].

---

[1] أحمد الأزمي ، المرجع السابق،ج1، ص 47-72.

* يعتقد التيجانيون بأن النبي خصهم بهذه الصلاة وأخبر شيخهم بأنها تعادل قراءة القرآن ست مرات، ومن تلاها عشر مرات كان له ثوابا من الذي لم يذكرها ، ومن قرأها مرة كفرت بها ذنوبه، أنظر : حسن الدعجة : التوجهات السياسية للحركات الصوفية ، م.د، 11،ص 393.

[2] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ج2 ، ص 67-70.

*** انتشار الطريقة التيجانية:**

انتشرت الطريقة التيجانية بشكل واسع في الجزائر عموما ومنطقة توات على الخصوص ومنها إلى غرب إفريقيا ، وساعدت على انتشارها عوامل عديدة منها : سهولة تعاليمها وملاءمتها مع التطور الحياتي ، فهي ليست معقدة ، بحيث يمكن للمريد أن يقرأ ورده في أي وقت من نهاره[1].بالإضافة إلى ذلك فإن السلطات الفرنسية كثيرا ما كانت تغري رجال الطرق الصوفية بالمال، لتشويه صورة الإسلام بنشر البدع والخرافات، وكانت التيجانية من بين الطرق التي حصلت على المال الأمر الذي ساعدها على الانتشار في مناطق عديدة من الجزائر وشمال إفريقيا[2] .

وبفضل القوافل التجارية كذلك انتشرت الطريقة التيجانية بتوات وشمال إفريقيا ، حيث اتخذ التيجاني وأتباعه هذه القوافل وسيلة لنشر الطريقة، إذ كانت تجوب الصحاري من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، وفي نفس الوقت تنشر مناهج الطريقة وتنظم أمور المريدين، وتسهل عليهم إمكانية الدخول في الطريقة والالتزام بتعاليمها [3] .

وعلى هذا الأساس انتشرت الطريقة التيجانية بمنطقة توات في فترة وجيزة ، وثبتت جذورها في مناطق عديدة من الإقليم، وقد دخلت الطريقة إلى توات بفضل سيدي علي العين صالحي * الذي أخذ الطريقة واتجه بها ناحية تيديكلت مسقط رأسه، ولما توفي خلفه بعض إخوانه، وقد بنى سيد علي العين صالحي الزاوية التيجانية بعين صالح، حيث كانت مكانا يجتمع فيه الفقراء للصلاة وقراءة ورد الطريقة، ودخل على يده عدد كبير من الطوارق الذين تأثروا بها للإسلام [4].

---

[1] زيزاح سعيدة: المرجع السابق، ص 575.
[2] محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 212.
[3] إدريس بن خويا، المرجع السابق، ص 472.
* نسبة إلى عين صالح.
[4] محمد الصافي البركة: المصدر السابق.

وكان الفقيه سيدي إدريس بن العربي التنلاني من المتأثرين بالطريقة حيث كان مقدما لها ، وهكذا انتشرت الطريقة التيجانية في كثير من القصور التواتية، فبالإضافة إلى تيديكلت انتشرت الطريقة بقصر تيلولين بتوات وزاد انتشارها بتيميمون من طرف أسرة بن جعوان في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن 20م، ولا زال أفرادها يشرفون على نشر الطريقة مثل: المقدم بن جعوان محمد العربي، مقدم الطريقة بتيميمون[1].

ومما سبق يتضح أن الطريقة التيجانية تختلف عن باقي الطرق، فهي تعتبر الطريقة الصوفية الوحيدة التي كان منشؤها الجزائر، لذلك كان انتشارها واسع في مختلف أقاليمها، ومنها إقليم توات ، إلا أن انتشار الطريقة التيجانية بتوات لم يكن بمستوى انتشار الشاذلية، إذ أن الشاذلية لها أثر كبير في المنطقة، أما التيجانية فلا تكاد نعثر لها على أثر بالمنطقة في وقتنا الحالي .

2- الطريقة السنوسية :

تنتسب الطريقة السنوسية إلى مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي المولود سنة 1208 هـ-1787 م بمنطقة قرب مستغانم، تلقى العلم على يد شيوخ بلده ، ثم انتقل إلى فاس حيث استكمل تعليمه، ومن ثم اتجه إلى الأراضي المقدسة قصد أداء فريضة الحج حيث مكث هناك في الفترة الممتدة بين 1830- 1843م. وقد أسس أول زاوية له بالحجاز على جبل أبي قبيس، إلا أن السنوسي لم يمكث هناك، إذ غادر زاويته متجها لبلده، وفي طريق عودته أنشا زاوية له في الجبل الأخضر، كما أسس زاوية أخرى في واحة جغبوب سنة 1855م ، والتي اتخذها مركز لنشر طريقته ، فضلا عن زوايا أخرى انتشرت في غدامس وغات وغيرها من الواحات الصحراوية[2].

---

[1] إدريس بن خويا: المرجع السابق، ص 472.

[2] يوسي الهواري: التعريف بالسنوسية الأسس الفكرية، م د، 11 لجامعة أدرار، ص 215.

انتشر نفوذ السنوسية السياسي والديني في الصحراء الشرقية والوسطى، حيث كانت الطريقة تدعو للإصلاح، وعدم المواجهة مع الاتجاهات الإسلامية المختلفة، ويظهر ذلك مثلا في عدم مواجهة السنوسي للدعوة الوهابية التي كانت ترى بطلان مبادئه فلم يرد عنه أي رد عليها، إضافة إلى ذلك فالسنوسية تدعو إلى تجديد الإسلام للنهوض به في وجه الاحتلال الأوروبي، كما تشددت السنوسية في موقفها المعادي للمنكرات والانحراف عن الدين، فهي تمنع الرقص والموسيقى والغناء وغيرها من المحرمات[1].

ولما توفي الشيخ محمد بن علي السنوسي سنة 1859 م، وصلت دعوته إلى أوج قوتها ونفوذها الذي سيتواصل، ويتسع في عهد ابنه الكبير محمد المهدي، فأصبح السنوسيون يسيطرون على جميع مناطق الصحراء الشرقية وطرق القوافل التي تمر بها[2].

أما عن انتشار السنوسية بمنطقة توات فقد تواجدت بالخصوص بإقليم تيديكلت الذي دخلت إليه عن طريق أولاد باجودة بعين صالح، وهي منتشرة بالإقليم، حيث كان للحاج المهدي باجودة دور هام في انتشارها[3].

---

[1] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1983،ص226.
[2] صالح بن القبي: الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم، ب ط، ANEP، الجزائر: ب ت، ص 121.
[3] محمد الصافي البركة: المصدر السابق.

المبحث الرابع: الطريقة القادرية وفروعها

تعتبر الطريقة القادرية من أقدم الطرق التي ظهرت في القرن 5 هـ- 11 م يرجع تأسيسها إلى الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني، ولد بمدينة جيلان * سنة 471هـ - 1077 م تعلم هناك، ثم انتقل إلى بغداد عام 488هـ-1095 م، في عهد الخليفة العباسي " المستظهر بالله "، حيث واصل تعليمه، فدرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتفقه على مذهبه حتى أصبح من أشهر العلماء في بغداد، كان يلبس لباس العلماء والمتصوفة، بنى لنفسه مدرسة سنة 528 هـ - 1135 م، ومن الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم أبو الوفاء ابن عقيل - محمد بن الحسن الباقلاني- أبو زكريا التبريزي وغيرهم كثير.[1]

عُرف عبد القادر الجيلاني بورعه وتقواه وحبه للعلم، عندما تصوف لبس جبة صوف ومشى حافيا، وقد تدرج في التصوف حتى أصبح قطبا من أقطابه خاصة بعد وفاة الغزالي، بحيث لقب بألقاب عديدة منها : " سلطان الصالحين " قطب الأقطاب" " غوث الإسلام "، كان زاهدا ناسكا متواضعا، قال عنه الشعراني " كانت طريقته التوحيد وصفا وحكما وحالا وتحقيقا للشرع ظاهرا وباطنا " [2].

توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني عام 561هـ -1165 م، بعدما ترك مؤلفات عديدة، يعتمد عليها في معرفة مبادئ ومناهج الطريقة القادرية منها: أوراد الجيلاني - تحفة المتقين وسبيل العارفين - الحزب الكبير - الرسالة الغوثية - سر الأسرار في التصوف[3] .

وكبقية الطرق، تحتوي الطريقة القادرية على مجموعة من الأذكار والأوراد يلزم أتباعها بالقيام بها وهذه الأوراد كما يلي:

---

* مدينة جيلان تقع في بلاد فارس.

(1) نور الدين طوابة، دور الصوفية في الدعوة، الشيخ عبد القادر الجيلاني نموذجا، م د 11، ص 482.

(2) عبد الكريم بو الصفصاف، المرجع السابق، ص 13.

(3) نور الدين طوابة، المرجع السابق، ص 483.

1- **الحسبلة** : تتمثل في قول " حسبي الله الذي لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " " حسبنا الله ونعم الوكيل " كل هذا مائتي مرة.

2- **الاستغفار**: " استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود " مائتي مرة

3- **الهيللة** : لا اله إلا الله مائتي مرة.

4- **التصلية**: " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنو صلوا عليه وسلموا تسليما " مئة مرة.

ويزيد القادريون على هذا بأداء صلاة تتكون من عدد محدد من الركعات يقرأ في أولها فاتحة الكتاب مع سورة معينة بعد التسليم تقرا آيات محددة من القرآن ثم الصلاة على النبي، ودعاء عام يخص في نهايته مؤسس الطريقة القادرية وبهذا ينتهي الورد[1]. أما طريقة أدائه فإنهم يقرؤون في الركعة الأولى سورة الكوثر ست مرات وفي الثانية سورة الكافرون ست مرات، وفي الثالثة سورة الإخلاص ستة مرات، وفي الرابعة سورتي المعوذتين مرة، وفي الخامسة آية الكرسي مرة وفي السادسة " لو أنزلنا هذا القران على جبل..." مرة واحدة، وفي السجود " ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري..."، ثم يقول اللهم: " إني استودعتك ديني وإيماني فأحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي" [2].

عرفت الطريقة القادرية منذ ظهورها انتشارا واسعا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، بفضل أبناء مؤسس الطريقة الذين انتشروا في مناطق عديدة، وقد انتشرت الطريقة ببلاد المغرب الإسلامي بفضل ولديه الشيخين عبد العزيز وإبراهيم، وبفضل الشيخ أبي مدين الغوث الذي التقى بشيخ الطريقة عبد القادر الجيلاني ببغداد وأخذ عنه أسس طريقته ويذكر أن ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني اتجه من المشرق إلى فاس ثم إلى منطقة الأوراس لنشر الطريقة، حيث أسس بها زاوية المنعة، كما تأسست زوايا أخرى قادرية بالجزائر في بجاية،

---

[1] ادريس بن خويا، المرجع السابق، ص 469.

[2] محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 185.

معسكر (زاويةالقيطنة)[1] بالإضافة إلى زوايا أخرى في الجنوب الغربي للجزائر وخاصة منطقة توات التي ظهرت بها الطريقة القادرية بشكل موسع أثر في الأقاليم المجاورة لها والمتمثلة في غرب إفريقيا .

وقد كان للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي* (820هـ) (ت 909هـ)، دور هام في نشر الطريقة بمنطقة توات خلال القرن 15 م – 9 هـ حيث أسس زاويته القادرية بقصر بوعلي سنة 885 هـ– 1480 م، كانت مركزا لنشر الإسلام وتدريس تعاليم الطريقة القادرية، كما كانت مركزا للجهاد ضد اليهود ومحاربة البدع، والخرافات فكان لها نفوذ كبير بتوات وغرب إفريقيا ولها العديد من الاحباس والأوقاف المتمثلة في البساتين والأراضي والبيوت التي وقفها أصحابها على الزاوية، فتوسع نشاطها، وأصبحت تدعو للأخوة الإسلامية وبناء مجتمع موحد تحكمه مبادئ الشريعة [2]. وبالقرب من مدينة تمنطيط أسس الشيخ البكري بن عبد الكريم (1042هـ)(ت 1133هـ) الزاوية البكرية في القرن 11 هـ – 17 م وهي تعرف الآن بزاوية سيدي البكري.

كما ساهمت قبيلة كنتة* بتوات مساهمة فعالة في نشر الطريقة القادرية بالمنطقة بغرب إفريقيا، حيث خرج منهم عدد كبير من الفقهاء والشيوخ الذين أسسوا للطريقة القادرية بالمنطقة، منهم الشيخ المختار الكنتي (1142 – 1226 هـ) (1730–1811م) الذي عرف بعلمه وتآليفه العديدة في علوم الشريعة، منها: الكوكب الوقاد، الذي يتناول فيه الطريقة القادرية ومؤسسها، كما كانت للشيخ العديد من

---

[1] عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 14.

* أخذ المغيلي القادرية عن شيخه الإمام عبد الرحمان السيوطي ، ولد بمدينة مغيلة قرب تلمسان.

[2] إدريس بن خويا: المرجع السابق، ص 469.

* الكنتي في اللغة هو القوي القوي الشديد، والكنتيين هم قبيلة عربية انتقلت إلى توات في القرن 15م، حاملة معها الطريقة القادرية، وهم ينقسمون على عشائر عديدة منها: أولاد سيدي محمد الكنتي الصغير اغلبهم في موريتانيا ، أولاد الطالب بوبكر وهم الهمال وأهل الأزرق اغلبهم في شمال مالي لهم امتداد في الجزائر وليبيا موريتانيا السينغال ، أولاد بونعامة، الرقاقدة في شمال مالي والجزائر ، أولاد سيدي المختار في شمال مالي والنيجر وجنوب الجزائر ، أولاد الوافي، المصادفة، أولاد سيدي عبد الرحمان، أولاد بن عمر، أهل الشيخ سيدي المختار الكبير انظر: مركز التوثيق والبحث: نبذة تاريخية موجزة عن القادرية الكنتية في منطقة حوض النيجر وما جاورها ، مالي.

التصانيف في الأذكار، وضح من خلالها مناهج التربية الصوفية السليمة القائمة على عنصر المحبة ويقسمها إلى قسمين :

- **المحبة المفروضة:** تتمثل في امتثال الأوامر وعدم ارتكاب المعاصي وأي تقصير في الواجبات يعني الوقوع في المحرمات والتقصير في العبادات وعلى المبتدئ الموازنة بين الناحيتين حتى يدرك المحبة المفروضة.
- **المحبة المندوبة:** هي التي يصلها كل من حقق المحبة المفروضة، وهي قائمة على القيام بالواجبات، ثم بالنوافل والابتعاد عن المحرمات مع عدم الوقوع في الشبهات [(1)].
- وللشيخ المختار الكبير مؤلفات أخرى في التصوف وفي الطريقة القادرية، منها قصائد في السلسة القادرية ونازلة في التصوف، إجازة في الورد، ورسالة إلى أحد مريديه [(2)].

ويقول الشيخ المختار الكبير عن الطريقة القادرية: " ومن خصائص طريقتنا القادرية خلوها عما في غيرها من الشطح والرقص ورفع الصوت بأذكار المستغرقين كهوهو وياهو ياهو وياه ياه، ونحو ذلك من الإنشادات والسماع..بل المعهود المتعارف بين مشائخ طريقتنا وأعيان طائفتنا مناولة الشيخ لخليفته عندما يعاهد الله سبحته أو سجادته أو عكازه أو نحو ذلك مما يختص به."[(3)]

وتجدر الإشارة إلى أن استقرار الكنتيين بتوات كان عاملا أساسيا في إكسابهم مكانة هامة في توات، خاصة بعد ما أسسوا زوايا رئيسة لعبت دورا أساسيا في جعل سكان المنطقة متفقهين في علوم الدين واللغة العربية ونشر مناهج الطريقة القادرية، ومن هذه الزوايا: زاوية كنتة* تأسست سنة 1022 ه،

---

(1) محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 182.

(2) نفسه، ص 183.

(3) الشيخ محمد المختار الكنتي: مخطوط الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، ج1 ، ص 184.

* زاوية كنتة أسسها احمد بن محمد الرقاد ، تخرج منها احمد بن علي احمد الرقادي دفين بلاد التكرو الذي ساهم في نشر الإسلام بها.

وزاوية بونعامة المعروفة بزاوية الهمال باقبلي [*] في القرن 13 هـ 19 م، زاوية سيدي المختار الشيخ بقصر الجديد[**] في القرن 12 هـ 18 م، فعرفوا منذ ذلك بأهل العلم والولاية[1]، زاوية تيمادنين التي أسسها محمد بونعامة في القرن 12هـ – 18 م، وكانت هذه الزوايا ولا زالت مراكز إشعاع علمي يتوافد عليها الطلبة من كل نواحي المنطقة .

وقد تفرعت الطريقة القادرية إلى فروع عديدة منها:

الرافعية التي أسسها سيدي أحمد الكبير الرفاعي (ت 1183م)، العامرية أسسها سيدي عمار بوسنة (1712م)، الحمدوية، العيساوية نسبة إلى سيدي محمد بن عيسى (ت 1523م)[2]

أما عن فروع القادرية بمنطقة توات، فقد تفرعت إلى شعبة واحدة هي: البكائية الكنتية التي أسسها الشيخ أعمر بن الشيخ أحمد البكاي[***] في القرن 10 هـ 16 م والذي التقى مرات عديدة بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وأخذ عنه جملة من الأوراد، كما أخذ الورد عن أبيه وأصبح ناشر الطريقة الأول في توات وغرب إفريقيا، وقد بلغت أوج انتشارها مع ظهور الشيخ المختار الكنتي[3].

ونلفت النظر إلى وجود شيوخ بمنطقة توات اعتنقوا الطريقة القادرية واشتهروا بالزهد والكرامات، واكتفوا بالعبادة وأداء الأوراد ولم يتركوا مؤلفات، لكن ظلت أسماؤهم خالدة في الذاكرة الشعبية بتوات، لما عرفوا به من أعمال خيرية في خدمة الصالح العام، فأسسوا زوايا، وساهموا في تسييرها لتؤدي دورها الخيري لأبناء السبيل، وبعد وفاتهم خلدت قبورهم بأضرحة وزيارات سنوية يتوافد عليها

---

[*] أسسها محمد بونعامة سهمت في التعليم ونشر القادرية.

[**] أسسها محمد بونعامة ساهمت في التعليم ونشر القادرية.

[1] عزيز بطران: " الشيخ المختار الكنتي ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا"، مجلة البحوث التاريخية، ع/2،مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص 315.

[2] عبد الكريم بو الصفصاف، المرجع السابق، ص 14-15.

[***] الشيخ سيدي أحمد البكاي هو ابن سيدي محمد الكنتي ، وهو من أولياء الله الصالحين، قبره بجبل ولاتة ، انظر: أبو عبد الله الطالب محمد البر تلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرو، د م ، بدت، ص31.

[3] عقباوي الأمين: دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقية، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار، ص8-9.

الناس سنويا، أشهرها زيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني بمنطقة توات حيث تقام له زيارتين سنويتين: الأولى في شهر سبتمبر والثانية في شهر ماي من كل سنة، ومن أضرحة هؤلاء الشيوخ المذكورين نجد ضريح الشيخ المختار بن محمد بن عمر بلوا في بقصر الجديد، ضريح أحمد بن محمد الرقاد بزاوية كنتة، ضريح الشيخ أمحمد بونعامة بقصر أقبلي[1].

نخلص في الأخير إلى أن الطريقة القادرية عرفت طريقها لمنطقة توات وانتشرت فيها لكن ما نلاحظه أنها اقتصرت على منطقة تمنطيط، ومنطقة زاوية كنتة والقصور المجاورة لها الأمر الذي سهل على الكنتيين نقل الطريقة إلى غرب إفريقيا، أما منطقة توات الوسطى فلا نجد فيها إلا احتفال السكان بالتظاهرة الثقافية المعروفة بزيارة الجيلاني.

[1] حوتية محمد الصالح: المرجع السابق، ص183-184.

المبحث الخامس: دور الطرق الصوفية بتوات.

كان للطرق الصوفية في الفترة الممتدة بين القرنين 18 م و 20 م، أدوار هامة ومساهمات فعالة شملت مختلف المجالات الدينية الاجتماعية الثقافية السياسية.

لقد استطاعت الطرق الصوفية التي انتشرت بالمنطقة بما فيها الشاذلية، القادرية، التيجانية، وفروعها نشر الإسلام الصحيح في المنطقة خاصة بعد ما علقت به الشوائب وكثرت البدع والخرافات، التي انتشرت بالمنطقة بداية من عهد الشيخ بن عبد الكريم المغيلي إلى الفترة الاستعمارية [1]، وذلك من خلال حلقات الذكر والكتاتيب القرآنية وتأسيس الزوايا التي أصبحت مراكز دينية لنشر الإسلام في المنطقة مثل ما كان الحال عليه في زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي أسس زاويته القادريـة في قصر بوعلي منذ القرن 15 م حيث لعبت دورا هاما في محاربة اليهود واستئصالهم ومحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالإسلام، وخاصة في منطقة تمنطيط وبمرور الوقت ظهرت زوايا أخرى قادرية بين القرنين 18 م و 19 م مثل: زاوية كنتة في القرن 17م، زاوية الهمال في القرن 13 هـ 19 م، زاوية سيد المختار الشيخ في القرن 12 هـ –18م، التي ساهمت في نشر الإسلام بمنطقة توات ومنـها إلى غرب إفريقيا [2] بالإضافة إلى زوايا أخرى لا زالت تؤدي دورها الثقافي والتعليمي بتحفيظ القرآن وتعليم الفقه وسائر العلوم الشرعية فضلا عن تدريس الطلبة مناهج وتعاليم الإسلام الصحيح الخالي من الشوائب والبدع والخرافات، وقد تخرج من هذه الزوايا الصوفية طلبة كثيرون واصلوا هم أيضا مهمتهم السامية في نشر الإسلام ومن هذه الزوايا التي قامت بدورها الثقافي إلى الآن نذكر: الزاوية الكرزازية زاوية الشيخ محمد بن الكبير بأدرار، زاوية نومناس وشيخها الحاج عبد القادر بكراوي، زاوية زاجلو شيخها الشيخ العالمي ومدرسة

---

[1] محمد الصالح حوتية : المرجع السابق، ص 221.
[2] عقباوي الأمين: دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، ص 09.

أوقروت وشيخها الحاج الصالح أكادو، زاوية تسفاوت بفنوغيل وشيخها مولاي الحاج وزوايا أخرى كان لها الدور الريادي في نشر الثقافة الإسلامية ومحاربة الأمية [1].

لقد كان للطرق الصوفية بتوات مساهمة فعالة في تربية الأطفال تربية دينية سليمة تحميهم من الانحرافات والمزالق وساهمت في نشر الأخلاق الحميدة المستمدة من مناهج الإسلام وتعاليمه السمحة ، كما كانت لها أهداف نبيلة أكسبتها بعدا اجتماعيا تضامنيا وإنسانيا، فقد جمعت فئات المجتمع المختلفة ووحدت بينها، وبثت فيها قيم التضامن والتسامح وحب الخير [2] ويتجلى ذلك في اهتمامها باليتامى ورعاية شؤونهم ومساعدة الفقراء والمحتاجين في الأعراس ومتطلبات الحياة اليومية، كما أشرفت في كثير من الأحيان على القيام بالختان الجماعي للأطفال المحتاجين .

إلى جانب هذا ساهمت الطرق الصوفية من خلال زواياها في الحفاظ على التراث الإسلامي المتمثل في المخطوطات وحمايته من الاندثار، حيث نجد في كل زاوية خزانة خاصة لجمع المخطوطات، لا سيما وأن منطقة توات تحتوي على زخم هائل من المخطوطات التي ألفها العديد من علمائها كالعالم مولاي احمد الإدريسي صاحب مخطوط: نسيم النفحات ، محمد بن عبد الكريم التمنطيطي في مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، محمد بن عمر الجعفري مخطوط نقل الرواة من أبدع قصور توات ، وغيرهم كثير ، و لأهمية هذا التراث كان لا بد من إيجاد طريقة للحفاظ عليه ، خاصة وأنه اليوم يعتبر مصدرا علميا هاما للباحثين والدارسين، لذلك نجد العديد من الزوايا الصوفية أنشأت خزائن لهذا الغرض، ومن هذه الزوايا نذكر زاوية سيدي بونعامة (زاوية الهمال) باقبلي التي تحتوي خزائنها على ما يقارب ثلاثمائة مخطوط في علوم مختلفة لاسيما العلوم الدينية، زاوية الشيخ

---

[1] محمد أي بلعالم :الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1، ص 334-353.

[2] مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 517.

محمد بن عبد الكريم المغيلي بقصر بوعلي تحتوي على العديد من المخطوطات ومؤلفات الشيخ [1].

وعلى العموم فان الطرق الصوفية أكدت حضورها القوي في مواجهة الاستعمار الفرنسي وحركات التبشير والتنصير ، إذ نجد أن معظم المقاومات التي واجهت الاستعمار الفرنسي تنتمي إلى الطرق الصوفية التي كانت تدعو للجهاد والمقاومة ، وفي هذا يقول أحد الباحثين الفرنسيين :" إن كل سكان الجزائر كانوا ينتمون إلى الطرق الصوفية وهم بذلك يشكلون جيشا صلبا متدربا بمهارة، مستعدا دائما للدفاع عن البلاد ضد الأوروبيين "، وكثيراً ما كانت الطرق الصوفية تخيف الجيش الفرنسي مثل ما كان الحال عليه بالنسبة للطريقة التيجانية وهجومها على مدينة معسكر وتمردها في عين ماضي، والطريقة القادرية ممثلة في الحاج محي الدين وابنه الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري [2] ، وفي الجنوب الغربي للجزائر نجد الشيخية التي لعبت دورا هاما في مقاومة الاحتلال ممثلة في مقاومة الشيخ بوعمامة التي وصلت إلى غاية منطقة قورارة بتوات.

كما ساند أتباع الطرق الصوفية بتوات قادة المقاومات الشعبية ضد الوجود الفرنسي، خاصة عندما حاولت فرنسا احتلال المنطقة، فقد وقف أتباع الطريقة الشيخية بتوات إلى جانب الأمير عبد القادر وأبي شوشة والسي قدور وبوعمامة[3].

كما ساند أتباع الطريقة الطيبية مقاومة الشريف بومعزة الذي قاد ثورة عارمة بالشلف سنة 1848 م، وهذا يعتبر من بين الأسباب التي جعلت السكان يتشبثون بالطرق الصوفية ويتعلقون بها ويتبعون تعاليمها ومطالبها.

هذا وقد تعلق المجتمع التواتي بالطرق الصوفية تعلقا كبيرا جعلهم يقدسون شيوخ الصوفية، حيث نجد العالم والشيخ الصوفي يحظى بمكانة مرموقة في توات

---

[1] محمد باي بلعالم ، المرجع السابق، ص 398.
[2] نفسه.
[3] فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 110.

فكل فئات المجتمع تحترمه وتقدسه وتهابه ، ففي العديد من قصور توات نجد الشيخ هو الذي يشرف على كل أمور القصر: كالزواج والختان وغيره ويستمر هذا التقديس حتى بعد وفاة الشيخ، حيث تقام له تظاهرة سنوية تُعرف عندهم بالزيارة أو الوعدة وما هذا إلا دليل على تأثير التصوف في عادات وتقاليد المنطقة، والزيارة هي عبارة عن احتفال سنوي تخليدا لذكرى وفاة شيخ أو عالم؛ تقام فيه مظاهر احتفالية كبيرة مثل رقصة البارود* ، ويتم من خلالها زيارة ضريح الولي الصالح والتوسل إليه ، ومن هذه التظاهرات زيارة مولاي عبد الله الرقاني برقان، تقام في بداية شهر ماي من كل سنة وزيارة مولاي سليمان بن علي ** بأولاد أوشن في نفس الشهر ، زيارة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الونقالي بقصر أولا نقال [(1)] ، زيارة الشيخ سيدي عومر ببودة ، زيارة سيدي الميموني بقصر ميمون، زيارة سيدي بن با صالح ببوزان زيارة سيدي بوعلالة بقصر ادغا ، زيارة سيدي المهدي بو شنتوف ببربع، وزيارات أخرى عديدة في كل قصور توات إذ لا يكاد يخلو قصر من قصور الإقليم إلا وتوجد به زيارة لولي من أولياء الله الصالحين.

مما سبق يتضح أن الطرق الصوفية فعلا تركت بصماتها بمنطقة توات ولا زالت، حيث استطاعت أن تؤثر كثيرا في المجتمع، وقضت على الكثير من العادات السيئة التي أراد الاستعمار غرسها في المجتمع التواتي، لكن بفضل جهود العلماء وشيوخ الطرق الصوفية استطاعوا استئصالها بالتدريج ، وكما لاحظنا فدورها لم يقتصر على الجانب الديني فقط و إنما تعداه ليشمل مجالات الحياة المختلفة

---

* هي رقصة تقليدية ، انظر : دليمي بوجمعة : "رقصة البارود"، مجلة الأحياء ، ع1، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية ، ادرار،ص 49.

** انتقل إلى توات سنة (580هـ-1184م) ، واستقر في آخر عمره بقصر أولاد أوشن توفي بها سنة (670هـ – 1271م) كانت زاويته هناك مقر للعلم والتعليم ومكان للعبادة والتصوف ، انظر : عبد الحميد بكري المرجع السابق، ص 74.

(1) عبد الحميد بكري: المرجع نفسه، ص74-83.

خاتمة الفصل الثاني:

أصبحت الطرق الصوفية بتوات تشكل جزءا هاما من الحياة الروحية فيها، إذ لا يكاد يخلو إقليم من المنطقة إلا وانتشرت به طريقة صوفية أو أكثر ، وهذا ما لاحظناه مما سبق.

ويبدو من خلال الدراسة أن الطريقة الشاذلية ، فرع الكرزازية هي الأكثر انتشارا بالمنطقة لسهولة تعاليمها ومبادئها ومرونتها ، مما جعلها تتلاءم مع أفكار السكان ، وتستقطب أتباعا كثر، وهو ما يظهر واضحا بتوات ، إذ ا تباع الكرزازية بها يشكلون نسبة كبيرة ولها أملاك عديدة ، في حين نجد الشيخية تكاد تقتصر على إقليم قورارة إلى جانب الطيبية المتواجدة كذلك بتمنطيط و بودة، هذا بالإضافة إلى فروع أخرى كالزيانية و الصادقية إلا أنها بنسب قليلة زيادة على الكرزازية ، تنتشر الطريقة التيجانية والسنوسية بتوات ، والقادرية التي كان لها نشاط واسع خاصة بزاوية كنتة حيث ساهمت قبيلة كنتة في نشرها بتوات وغرب أفريقيا.

هذا وقد تركت هذه الطرق أثارها في أوساط المجتمع التواتي، وهو ما نلحظه من خلال تعلق سكان المنطقة بشيوخ التصوف ، حتى بعد وفاتهم بتخليد ذكراهم المتمثلة في التظاهرات التي تقام سنويا وتمارس فيها طقوس لا زال يتمسك بها سكان المنطقة كالإطعام والتوسل إلى الشيخ في يوم زيارته ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الاهتمام البالغ الذي أولاه التواتيون للطرق الصوفية.

الفصل الثالث:

دور إقليم توات في انتشار التصوف بغرب إفريقيا

1/ التعريف بمنطقة غرب إفريقيا.

2/ إنتشار الطرق الصوفية بغرب إفريقيا.

3/ أثار انتشار التصوف بغرب إفريقيا.

الفصل الثالث: دور إقليم توات في انتشار التصوف بغرب إفريقيا

لم تقتصر الطرق الصوفية في انتشارها على إقليم توات، إنما امتدت لتشمل منطقة غرب إفريقيا ، حيث كان لرجال توات الدور الفاعل في هذا الامتداد نظرا للحدود المشتركة بين المنطقتين ولاشتراكهما في خصائص عديدة، طبيعية وبشرية، لهذا وجدت الطرق الصوفية في منطقة غرب إفريقيا مناخا آخر مناسبا لنشاطها وتوسعها فاستطاعت بمرونتها أن تؤثر على شعوب غرب إفريقيا الذين تأثروا بها تأثرا كبيرا.

كل هذا سنعاجله في هذا الفصل الذي نتعرف فيه في البداية على منطقة غرب افريقية من حيث موقعها، بنيتها الجغرافية ، سكانها أوضاعها؛ ثم نتحدث عن الطرق الصوفية التي انتشرت بالمنطقة انطلاقا من إقليم توات، وفي الأخير نحاول التعرف على الدور الذي أدته هذه الطرق الصوفية والآثار التي خلفتها في المنطقة .

المبحث الأول: التعريف بمنطقة غرب إفريقيا

يقصد بغرب إفريقيا المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا حتى حدود السودان الأوسط * الغربية شرقا، ومن المناطق الصحرواية في الشمال إلى نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب(1).

تتميز غرب إفريقيا من الناحية التضاريسية بالارتفاعات والنتوءات، وأهم هذه المرتفعات هضبة بوتشي في شمال نيجيريا ، وهضبة فوتا جالون، التي تقسم المياه في غرب إفريقيا بين المجاري التي تتحدر نحو المحيط الأطلسي وبين منابع نهري السينغال والنيجر اللذان يصبان في المحيط الأطلسي، وتنتشر بالمنطقة التربة المدارية الحمراء التي تتميز بلونها الأحمر أو البني (2).

---

* يقسم المؤرخون جنوب صحراء إفريقيا إلى ثلاثة أقسام وتسمى بالسودان وهي: السودان الغربي (إفريقيا الغربية) ، السودان الأوسط يشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد، السودان الشرقي يشمل مناطق النيل وروافده ، أنظر عبد القادر زيادية: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1989، ص 11.

(1) حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة: 2006، ص 169.

(2) احمد نجم الدين فليجة: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية: 2002، ص 133.

ويسيطر على منطقة غرب إفريقيا المناخ المداري الذي يمتاز بالحرارة العالية – باستثناء المناطق المرتفعة– طوال العام ، لهذا يمكن تميز منطقتين : نطاق سفانا الأراضي المنخفضة ونطاق سافانا الأراضي المرتفعة [1]وتنتشر بالإقليم الحشائش الفصلية الخشنة ذات القيمة الاقتصادية المحدودة والتي لا تصلح لرعي الماشية والأغنام وأهم المحاصيل الزراعية بالمنطقة : البن – المطاط – القطن [2].

ويصف الاصطخري[3] غرب إفريقيا :(بلاد السودان الغربي) بقوله :" بلدان السودان بلدان عريضة إلا أنها قفرة قشفة جداً ، لهم أطعمة يتغذون بها من فواكه ونبات ، وغيرها مما لا يعرف في بلاد الإسلام... ليسوا بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة، لكنهم اشد سوادا من الجميع وأصفى يمتدون إلى قرب البحر المحيط مما يلي الجنوب ومما يلي الشمال، وليس لها اتصال بشيء من المماليك والعمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم".

وتنتشر بغرب إفريقيا سلالات بشرية تعرف " بالزنوج" ينقسمون إلى عدة قبائل وشعوب تختلف عن بعضها في اللغة والدين والحرف وهي :

1- **الوالوف woloff** : يتواجدون في السنغال ، معظمهم يدين بالإسلام ، يمتهنون الزراعة وصناعة المنسوجات وخاصة المنسوجات القطنية والصناعات اليدوية البسيطة التي تعتمد على المعادن .
2- **السرير والتكرور** : ينتشرون بالمنطقة الساحلية جنوب الوالوف ، يشبهونهم في الصفات والحرف [4].
3- **السنغاي** : هم عشائر من الزراع و صيادي الأسماك ، ينتشرون على الضفة اليسرى لنهر النيجر، في المنطقة الممتدة بين ثنية نهر النيجر إلى جنوب مدينة تمبكتو ، أكثرهم يدين الإسلام.

---

(1) أحمد ابراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، د ط، دار المريخ، الرياض: بدت، ص 34.
(2) أحمد نجم الدين فليجة، المرجع السابق، ص 168-179.
(3) الاصطخري: المسالك والممالك، ب.ط، تح: محمد جابر الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1961، ص 35.
(4) عبد القادر محمد سيلا: المسلمون في السنغال، ط1، كتاب الأمة، قطر: 1995، ص 28.

4- **المانتكة والسوننكة:** وهم فرع من شعب الماندي يتواجدون في المنطقة الواسعة الممتدة بين أعالي السنغال في الغرب وبحيرات النيجر في الشرق ونطاق الغابات في الجنوب، يعرفون كذلك بالماندي نسبة إلى اللغة التي يتكلمون بها ، وتشمل هذه المنطقة مالي ، غينيا ، السينغال ، غمبيا، يمتازون بطول القامة يمارسون الزراعة وبعض الصناعات اليدوية.

5- **الموسى mossi والداجومبا وسنوفر والبوبو :** يشكلون شعب الفولتا العليا يتكلمون لغة الجور ، ولا يزالون وثنيون يمجدون الشمس والأرض والأجداد يمارسون الزراعة [1].

كانت هذه أهم الشعوب القاطنة في غرب إفريقيا، ونلاحظ أنهم شعوب مختلفة ومتنوعة تتحدث بلهجات عديدة كالماندي والغولا الهوسا ، تعيش على شكل جماعات وقبائل يرأسها أكبر الرجال سناً، وقبل أن تتعرف شعوب إفريقيا الغربية على الإسلام، انتشرت بينها ديانات وثنية كالاعتقاد بوجود قوة روحية في الأشياء أي أن للجماد والنبات أرواح مشابهة لتلك الأرواح الموجودة لدى الإنسان، ويعتقدون بوجود قوة تتحرك في الكون فعلى المعتقد القيام بطقوس دينية لمنع الكوارث التي يمكن أن تحدث ، كما يلجأ الأفارقة لعبادة الأجداد ليكونوا وسطاء بينهم وبين تلك القوة الخفية ومن العادات المنتشرة في المجتمع الإفريقي قبل ظهور الإسلام، عادة وأد الأطفال خاصة إذا وُلد الطفل بعيب خلقي اعتقاداً منهم بوجود روح شريرة فيه بالإضافة إلى عادات أخرى كالشعوذة والسحر وغيرها من العادات السيئة [2]، وقد وصلهم شيئا من الحضارة عبر الصحراء عرفوا من خلالها صناعة الذهب والحديد وبناء الزوارق، واستطاع شعب من فرع الماندي أن يؤسس دولة قبل دخول الإسلام، وهي المعروفة بدولة غانا سنة 300م، وملكها آنذاك عرف باسم " كان" ،

---

[1] نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1974، ص 17.

[2] عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: بدت، ص 10.

وعاصمتها مدينة " أوكار " قرب تنبكت عاصمة له، ثم انتقلت إلى مدينة كمبي صالح، وتمكنت الأسرة الأولى أن تسيطر على حكم غانا منذ القرن 4 م إلى غاية القرن 8 م، عندما ثار السوننكيون على هذه الأسرة واستولوا على السلطة سنة 770م وقد توسعت دولة غانا في هذه الفترة إلى غاية القرن 11م اتساعا أخضعت من خلاله شعب التكرو والوالوف والسرير، حيث وصلت دولتهم إلى مدينة تمبكتو شرقا والنيجر الأعلى في الجنوب الشرقي ونهر السنيغال في الجنوب الغربي ، وبلاد التكرو في الغرب ، وامتدت شمالا إلى غاية حدود المغرب الأقصى [1].

لكن مع بداية القرن 10 م سقطت مدينة غانة في أيدي الطوارق * المسلمين فتفككت مملكة غانا، وانفصلت عنها معظم أقاليمها فسقطت عاصمتها كومبي صالح، وكان ذلك سببا في دخول الإسلام إلى غانا.

وبضعف الطوارق ودولتهم المرابطية استولى على غانا شعب الصوصو السنونكين مما أدى إلى انهيارها وسقوطها، فحلت محلها دولة إسلامية أخرى عُرفت باسم مالي[2].

وقد تحدث الإدريسي[3] عن غانا ووصفها في كتابه بقوله: إن مدينة غانة الكبرى مدينتان على ضفتي البحر ، وهي أكبر بلاد السودان قطراً وأكثرها خلقا واليها يقصد التجار ...من جميع البلاد المحيطة بها ، ومن سائر بلاد المغرب الأقصى وأهلها مسلمون .."

فمن خلال وصف الإدريسي يمكننا أن نستنتج أن غانا كانت مزدهرة اقتصاديا، وهذا من خلال ازدهار الحركة التجارية ، حيث كان التجار يأتون إليها من كل مكان.

---

(1) الخليل النحوي: افريقيا المسلمة الهوية الضائعة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1993، ص16.

* قامت دولة المرابطين في الطرف الغربي من الصحراء الكبرى مما يلي المغرب الأقصى جنوبا بفضل جهود الفقيه المالكي المصلح عبد الله بن ياسين قامت على أساس الجهاد في سبيل الإسلام ، أنظر : أحمد توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ب ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا : 1984، ص 307.

(2) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، دار هومة، الجزئر: 2001،ص 25.

(3) الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ب ط، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1983، ص30.

ونفس الأمر نجده في وصف البكري[1] الذي ركز على وصف المنطقة التي يسكنها المسلمون، والتي احتوت على كل مظاهر الإسلام من علماء وفقهاء ومساجد وهذا من خلال قوله :" مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ...ولها الأئمة .....وفيها فقهاء وجملة علم وجواليها آبار عذبة يشربون منها وعليها يعتملون الخضروات ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة .."

أما دولة مالي فقد أسسها شعب الماندنغو الذي اعتنق الإسلام في أواخر القرن 11م بفضل حركة ونشاط دولة المرابطين التي أخذت على عاتقها مهمة نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء ، وقد كان هذا الشعب يدين بالولاء لمملكة غانا ، لكن بعد انهيارها انفصل عنها وانشأ في البداية دويلة صغيرة عُرفت باسم كانجايا kanjaba ،التي أخذت تتوسع حتى تتمكن من بسط نفوذها على منطقة مالي حاليا والسنغال الشرقي وشمال كل من غينيا وبوركينافاسو (فولتا العليا) والبنين (الداهومي) وجنوب موريتانيا ، ويعتبر عام 1240م هو تاريخ تأسيس مملكة مالي حسب ما أشارت إليه أغلب المصادر أي في القرن 13 واستمرت إلى غاية القرن 17م سنة 1670م [2] ، وقد مرت إمبراطورية مالي منذ تأسيسها بثلاث مراحل هي:

1- **مرحلة التأسيس** : تمتد من 1225 إلى1455م، سيطرت مالي على مملكة غانا القديمة واتخذ أمراء مالي لقب " منسى" بمعنى السلطان ، كما اتخذوا مدينة " قارة" أو " نياني" عاصمة لإمبراطوريتهم، وامتازت هذه المرحلة كذلك بتنظيم الدولة وتوسيعها بإقامة علاقة صداقة مع زعماء القبائل .

2- **مرحلة الازدهار والقوة** : استمرت طيلة القرن 14 م وقد تميزت بالازدهار والقوة والتوسع ، حيث عرفت مالي أقصى توسعها خاصة في عهد السلطان منسي

(1) البكري: المسالك والممالك،ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984، ص 359.
(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 297.

موسى (1307- 1332م)، الذي استطاع أن يستولي على مدن عديدة هامة مثل: ولاتة – تمبكتو.

3- **مرحلة الضعف** : وهي المرحلة الأخيرة بدأت من القرن 15م،حيث عرفت مملكة مالي اضطرابات بسبب التنافس على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة والأمر الذي أدى إلى سقوطها في نهاية القرن 16 م وبداية القرن 17م، لتحل محلها مملكة أخرى هي مملكة سنغاي [1].

وتجدر الإشارة إلى أن مملكة مالي كانت أغنى المراكز التجارية آنذاك حيث كانت القوافل التجارية تتوافد عليها من كل بلدان شمال إفريقيا، كما أقام سلاطين مالي علاقة تجارية هامة مع مدن عديدة في المغرب وحتى أوربا.

إضافة إلى ذلك اهتمت دولة مالي بالإسلام اهتماما كبيرا، وهو ما أشاد به الرحالة ابن بطوطة الذي زارها في القرن 14م ، ولاحظ مظاهر تمسك سكانها بالإسلام ؛ من ذلك أنه دخل على قاضي مالي يوم العيد، فوجد أولاده في القيود فقال له: ألا تسرحهم فأجابه القاضي، لا أفعل حتى يحفظوا القرآن، كما يظهر ذلك في اهتمام ملوكها بالإسلام، حيث يروى عن الملك منسي موسى أنه كان يبني مسجداً في كل مدينة تُدركه الجمعة فيها، يقول عنه القلقشندي: " بنى المساجد والمنارات وأقام الجمع والجماعات والأذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك" [2].

وبالنسبة لدولة سنغاي فقد تأسست منذ القرن 7م، عندما استقرت بعض قبائل لمطة البربرية على الضفة اليُسرى لنهر النيجر، واستطاعت بسط نفوذها على أهل سنغاي، ثم أخذت الدولة في النمو والتوسع حتى القرن 16 م [3].

اعتنق شعب سنغى الإسلام بفضل حركة المرابطين ، لذلك فقد تأثرت دولة سنغى بالمسلمين والقوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب الإسلامي ، مما أدى إلى

---

[1] عبد القادر زيادية: المرجع السابق، ص 18.
[2] عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق، ص 90.
[3] صالح بن القبي: المرجع السابق، ص 112.

ازدهارها تجاريا، وكان ذلك سببا في تغيير العاصمة في القرن 11م من مدينة" كوكيا" إلى مدينة جاو بعدما أصبحت حاضرة إسلامية هامة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن دولة السنغاي عرفت تطورا هاما خاصة في عهد الملك سني علي (1464–1422م) الذي سيطر على مدينة تمبكتو، غير أن الدولة توسعت أكثر في عهد الأسقيا محمد الذي تولى الحكم سنة 1493، حيث استكملت دولته تكوينها، فأخذ في بسط نفوذه على المناطق المجاورة له ، فانبسط نفوذه غربا إلى بلاد الماندنجو والفولاني وشمالا حتى حدود دولة المرابطين حيث الطوارق، وتمكن من إخضاع مملكة موسى mossi الزنجية في الجنوب، كما هاجم إمارات الهوسا والمناطق المجاورة لها سنة 1513 م [2].

كان ملوك سنغاي شديدي الحرص على تمكين شعبهم من الإسلام والثقافة الإسلامية، لذلك كانت لهم علاقات وثيقة بالعالم الإسلامي خاصة المغرب ومصر.

لكن رغم هذا ستحذو السنغاي حذو الممالك الإسلامية التي سبقتها إذ ستتعرض للغزو المغربي من قبل السلطان أحمد المنصور الذهبي الأمر الذي أدى إلى ضعف الدولة وانهيارها بداية من سنة 1591 [3].

كانت هذه أهم الممالك والإمارات الإسلامية التي قامت بغرب إفريقيا في الفترة الممتدة من القرن 7م إلى القرن 17 م ، وهي بذلك تعطينا نظرة عن وضع إفريقيا الغربية قبل انتشار التصوف فيها .

وقد لا حظنا من خلال تطور هذه الممالك الإسلامية أنها تتميز بسرعة الانتشار والتوسع في فترة وجيزة لكن سرعان ما تضعف وينهار حكمها، ولعل هذا راجع لعدم نجاح هذه الدولة في تكوين مجتمع متجانس وموحد ، كانت كلما أخضعت شعب تكتفي بدفع الجزية فقط، دون الأخذ بعين الاعتبار إدماجه مع الشعب المؤسس للدولة.

---

[1] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 176.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 38.

[3] عبد القادر زيادية: المرجع السابق، ص 24.

المبحث الثاني : انتشار الطرق الصوفية بغرب إفريقيا

لقد عرف الإسلام طريقه إلي غرب إفريقيا بفضل عوامل متعددة، منها: مجهودات المرابطين إلى جانب القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء، على أن الجهود الصادقة التي بُذلت لنشر الإسلام بالطرق السلمية بالتعليم والدعوة الخالصة، تمت على يد الطرق الصوفية منذ القرن 15 م ، واستمرت خلال القرون 18 م و 19 م و20م.

والواقع أن بداية ظهور الطرق الصوفية بغرب إفريقيا كان منذ القرن 15م، بفضل جهود الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، لكن مع بداية القرن 19 م، عرفت الطرق الصوفية بغرب إفريقيا اندفاعا كبيرا لعدة عوامل منها: نشاط قبيلة كنتة التي أنشأت الزوايا والمراكز العلمية لبث الدعوة الإسلامية، فانتشر الفقهاء والمريدون من السينغال إلى النيجر[1].

وجدير بالذكر هنا أن إقليم توات كان له دور ها جداً في نشر الطرق الصوفية من توات إلى غرب إفريقيا ، باعتبارهما منطقتين متجاورتين ولهما حدود جغرافية مشتركة، فضلا عن احتكاك شعوب المنطقتين واشتراكهما في العديد من الخصائص، ومن الطرق الصوفية التي انتشرت بغرب إفريقيا نذكر: القادرية، التيجانية، السنوسية وهي الطرق الرئيسية بالمنطقة التي كان لها نشاط واسع بها .

1- الطريقة القادرية :

يعود الفضل في انتشار الطريقة القادرية بغرب إفريقيا إلى قبيلة كنتة التي استقرت في توات خلال القرن 15م، وانقسمت إلى أسر وبطون عديدة منها ثلاث أسر رئيسية تمتد في المنطقة الواسعة من توات إلى منحنى نهر النيجر ووادي نهر السينغال ، حيث تتمركز أسرة الهمال المعروفة بأولاد سيدي الحاج أبو بكر بتوات وانجاسان بالسينغال، وتقطن أسرة أولاد سيدي محمد الكنتي الصغير المعروفة بكنتة القبلة بموريتانيا ومدينة ولاتة حيث يوجد قبر سيدي أحمد البكاي (ت 1515م)، أما

---

[1] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص55.

الأسرة الثالثة أولاد سيدي عمر الشيخ المعروفة بكنتة أزواد فتنتشر بمنطقة أزواد شمال مدينة تمبكتو [1]، حيث أسسوا ثلاث مدن هامة هي : المبروك – المأمون – الحلة ، كانت مدن علمية يتوافد عليها الطلاب من كل مناطق الصحراء ، فضلا عن كونها مراكز تجارية هامة وتشير أغلب المصادر إلى أن أحمد البكاي هو أول من نشر الطريقة القادرية البكائية بغرب إفريقيا أواخر القرن 15 م – 09 هـ، في السينغال ، حيث اتجه إلى ولايته واتخذها مركزا لنشر الإسلام والطريقة القادرية ، وبعد وفاته تزعم طريقته البكائية بابا أحمد ابن الشيخ سيدي المختار الذي اعتبر رئيس الطريقة البكائية بعده بمنطقة تمبكتو والمناطق المجاورة لها[2].

ويجمع المؤرخون على أن سيدي المختار الكنتي الكبير* كان له الفضل في إرساء قواعد القادرية وبناء صرحها، وإعطائها الطابع الإفريقي ، حيث كان يتمتع بصفات حميدة وثقافة عالية أهلته لأن يُصبح قطبا للطريقة القادرية بالمنطقة، فحظي بمكانة دينية كبيرة بين القبائل الإفريقية ، واعترف له جميع القادريين في الصحراء بالمشيخة، وقد أنشا المختار الكبير مدارس عديدة لنشر الإسلام والطريقة القادرية في منطقة منحى نهر النيجر وموريتانيا، حيث تولى مهمة الإنفاق على الطلبة والمعلمين وتزويدهم بالمواد الغذائية وبذلك انتشرت الطريقة القادرية انتشارا واسعا شمل كل المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى جمهورية النيجر في الشرق ومن توات في الشمال إلى ما وراء نهري السينغال والنيجر في الجنوب[3].

وبهذا كان المريدون في غرب إفريقيا يلتحقون بالطريقة القادرية ومباشرة بعد أخذهم الأوراد القادرية المختارية التي هي مزيج من أدعية وأذكار يصفها الشيخ المختار بأنها " عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشائخ " ، ويؤكد كذلك

---

[1] عزيز بطران: المرجع السابق، ص313.
[2] عقباوي الأمين، المرجع السابق، ص 9.
* ولد لمختار الكنتي الكبير في أزواد سنة 1729 م ، وتوفي عام 1811، نظم الكثير من القصائد الصوفية وألف كتب في مختلف العلوم من فقه وتفسير وحديث، أنظر: عزيز بطران، المرجع السابق، ص 318.
[3] نفسه، ص 319.

على فضلها بقوله: أن وردنا هذا مبني على الكتاب والسنة فليست فيه لفظة إلا وهي مسندة إلى كتب الله وسنة رسوله".

وعلى هذا الأساس كان الأفارقة يقيمون الأوراد في كتمان وسرية وعزلة تامة، فهم لا يقرون بالجهر بها ، كما أنهم يجيزون أخذ أوراد الطرائق الصوفية الأخرى بشرط عدم التخلي عن ورد الطريقة القادرية ، وفي هذا يقول الشيخ المختار:" فالأوراد وإن اختلفت ألفاظها فموردها واحد وهو التقرب إلى الله تعالى ومعرفة جلالات الله تعالى وكبريائه والتوكل عليه "، وعلى هذا نجد أن القادرية الكنتية بعيدة عن التعقيد والانغلاق ، وهي تمتاز بالتسامح والانفتاح على لطرق الصوفية الأخرى.

وعلى هذا الأساس امتد نفوذ الشيخ المختار الكنتي الكبير في غرب إفريقيا وبايعنه أمراء وقبائل إفريقيا عديدية ، فقد بايعه أمراء سوكوتو الشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبد الله وابنه محمد بيلو، وأمراء برنو وجميع القبائل الفلانيين والبمبارا والسنغاي والماندي وجميع الأفارقة المتواجدين في المنطقة الواقعة بين السينغال في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق وامتد نفوذه وسط الطوارق وفي موريتانيا وغيرها وكان لابنه سيدي محمد الخليفة وحفيده سيدي المختار الصغير من بعده، الفضل في ترسيخ أسس الطريقة القادرية بغرب افريقية ومواصلة نشر الإسلام بها [1].

وكما سبق وأن ذكرنا أسَس الكنتيون زوايا قادرية اعتُبرت مراكز إشعاع هامة بغرب افريقية ومن هذه الزوايا تذكر:

* **<u>زاوية انجاسان</u>*** بالسينغال التي يتواجد فيه ضريح أحد زعماء الكنتيين وهو الشيخ " بوكنت " (ت 1914م)

---

[1] عزيز بطران: المرجع السابق، ص 327، 328.

* تقع على بعد حوالي 70 كم من العاصمة الحالية داكار.

* **زاوية بوتلميت** بموريتانيا أسسها احد تلاميذ الشيخ سيدي المختار الكنتي وهو: الشيخ سيدي الكبير (1780–1869م) [1].

ومن هذا المنطلق أخدت الطريقة القادرية في التوسع والانتشار، وقد عرفت الطريقة أقصى توسع لها عندما برز الشيخ عثمان بن فودي[*] ، وأصبح من أبرز أقطابها، اهتم في بداية الأمر بالوعظ والإرشاد وتنقية الإسلام بمحاربة البدع والخرافات، ثم أعلن الجهاد ضد إمارة قوبير الوثنية ببلاد الهوسا بنيجيريا، أحدث حركة فكرية وثقافية وتغييرا اجتماعيا كبيرا بغرب إفريقيا، فانتشر التعليم في عهده، وكثرت المساجد والمراكز الدينية وكانت الطريقة القادرية هي الطريقة الوحيدة التي نشرها الشيخ عثمان، حيث ازداد إتباعها خاصة بعد نشرها مؤلفاته العديدة [**] حول أهداف الطريقة وأورادها، إذ وصلت إلى نيجيريا التي أسس بها الزاوية القادرية التي أصبحت مركزا للذكر والصلاة والتعليم ومنطلقا لنشر الطريقة، كما كان لأخيه عبد الله بن فودي دورا في توسيع دائرة الطريقة القادرية من خلال نشر أفكارها الصوفية وآرائه التي استند فيها على احد شيوخ التصوف وهو الشيخ أحمد زروق[***] [2].

ومهما يكن من أمر فان الطريقة القادرية لعبت دورا هاما في نشر الإسلام الصحيح بغرب إفريقيا بفضل الجهود الصادقة لرجال الطريقة القادرية خاصة خلال القرنين 19 و 20م، وهذا ما رأيناه من خلال حركة الكنتيين وحركة عثمان بن فودي وأخوه عبد الله.

---

[1] عبد القادر محمد سيلا، المرجع السابق، ص 134.

[*] ولد بقرية " مرت " بنيجيريا حاليا سنة 1168هـ - 1754 م من قبيلة الفولاني.

[**] من مؤلفاته كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة ، كتاب أصول الدين، كتاب السلاسل الذهبية للسادات الصوفية، كتاب السلاسل القادرية.

[***] هو أحمد زروق الفاسي متصوف على الطريقة الشاذلية، له مؤلفات عديدة منها : " شرح الحكم العطائية، قواعد التصوف" توفي عام 899هـ.

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة: 1999، ص 37،38.

2- الطريقة التيجانية :

يرتبط انتشار التيجانية بغرب إفريقيا بحركة الحاج عمر الفوتي التكروري(*)(1795- 1865 م)، الذي قام برحلة دينية طويلة بدأها بالذهاب للحج سنة 1825، وفي طريقه زار مدنا إسلامية عديدة مثل فاس، بعد عودته حضي باستقبال هام في المناطق التي زارها في التشاد، حيث استقبله السلطان الكانمي، وفي نيجيريا التي استقبله فيها السلطان محمد بلو بن عثمان دان فوديو، وغيرها من المناطق الإفريقية، إلى أن استقر بمنطقته في فوتاتور في مدينة " الدانجوراي" التي أسس بها زاوية له، لنشر طريقته التيجانية ومبادئها القائمة على أساس محاربة الوثنية، ونشر الإسلام والوقوف في وجه المتعاونيين مع الاستعمار من خلال توحيد البلاد الإفريقية في ظل الإسلام وتحقيق دولة إسلامية إفريقية قوية [1].

حاول الحاج عمر الفوتي نشر الطريقة التيجانية بغرب إفريقيا من خلال تنقلاته التي شملت ماسينا(**) وكنجانا بالنيجر ، كنكان، كومبيا، دياجونكو، وعاد سنة 1849م، إلى دانجوراي ليستكمل نشاطه بها، ثم اتجه سنة 1858م نحو النيجر ومناطق البمبارا الوثنية في سيغو لنشر الإسلام والقضاء على مظاهر الوثنية بها ، كما كان لمؤلفاته الصوفية دور كبير في كسب أتباع كُثر لطريقته ومن مؤلفاته كتاب رماح حزب الرحيم ، على نحور حزب الرجيم " يحتوي على أمور عديدة كالحث على دخول الطريقة التيجانية[2] .

وهكذا انتشرت الطريقة التيجانية بغرب إفريقيا ، فقد انتشرت في مناطق عديدة باستثناء بعض المناطق التي بقيت بعيدة عن تأثيرات حركة الفوتي مثل شمال السينغال

(*) ولد بقرية حلوار بالسينغال، تلقى العلوم على يد مشايخ التيجانية، اعتنق التيجانية على يد الشيخ عبد الكريم بن أحمد النقيل الفوتا جالوني، توفي سنة 1865.

[1] نعيم قداح: المرجع السابق، ص 119.

(**) تقع بين تمبكتو وسيغو في جمهورية مالي حاليا.

[2] عبدالله عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص 57.

وموريطانيا التي كانت من أهم معاقل القادرية، ورغم الانتشار الواسع للتيجانية بغرب إفريقيا إلا أنها لم تحقق النجاح مثل الطريقة القادرية(1) .

وبخصوص الأوراد التيجانية فإن التيجانيون بغرب إفريقيا يشكلون حلقة حول ثوب أبيض ويرددون الأذكار والأوراد التيجانية جماعيا بصوت مرتفع وهم بذلك يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم، يجلس على هذا الثوب بصحبة أحمد التيجاني أثناء الذكر(2).

وعلى العموم، فقد ظهرت بغرب إفريقيا زوايا تيجانية عديدة مهمتها نشر الطريقة ومبادئها فبالإضافة إلى الزوايا التي أقامها الحاج عمر الفوتي، أسس أحد أحفاده زاوية أخرى بداكار عُرفت باسم زاوية الحاج عمر الفوتي، وزاوية تيواوون غرب السينغال التي أسسها " مالك سي " (ت 1922م).(3)

03- <u>الطريقة والمريدية</u>: يعود تأسيس الطريقة المريدية إلى الشيخ أحمد بمبا(1851-1927م) المولود بالسينغال من قبيلة الوالوف، كان هذا الرجل قادريا ثم أصبح تيجانيا، لذلك تعتبر المريدية مستقلة عن القادرية، عكس ما يعتقده بعض الباحثين بأنها فرع من القادرية .

لقد ظهرت الطريقة المريدية سنة 1886 عندما أسس مركزا لطريقته في مدينة طوبا "touba"* وتعتمد الطريقة في وردها على المزج بين الأوراد القادرية والتيجانية كما تقوم الطريقة على أساس طاعة الأتباع لشيخهم، فمن الواجب أن يتبع المريد أحد المشايخ ليضمن التطهر والنقاء والابتعاد عن الأمور الدنيوية لنيل ثواب الآخرة والدخول إلى الجنة.

وقد انتشرت المريدية بالسينغال انتشارا واسعا، خاصة وأنها ظهرت في فترة كانت بلاده تتعرض لاحتلال فرنسا، لذلك التفت قبائل الوالوف حول الشيخ أحمد بمبا

---

(1) عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر: 1998، ص 124.

(2) عبد القادر محمد سيلا، المرجع السابق، ص 136.

(3) نفسه، ص 137.

* تقع على بعد 150 كم من عاصمة السنغال داكار.

ليخلصهم من ظلم الاحتلال، خاصة وأنه عرف بنشاطاته المعادية للاحتلال مما أدى إلى نفيه لموريتانيا لكنه عاد سنة 1907 .

لهذا حضيت الموريدية بتأييد كبير في المناطق الريفية، ونجحت في كسب عدد كبير من الأتباع لا سيما وأنها أكثر الطرق تسامحا في الملائمة بين التقاليد الإسلامية والعادات المحلية الوطنية، هذا بالاضافة إلى الشعار الذي اعتمد عليه احمد بامبا في طريقته، وهو "من يعمل يأكل"، حيث اتخذ الزراعة عمل أساسي واعتبره اشرف الأعمال، وبهذا ساهمت الموريدية في تكوين نظام اقتصادي يعتمد على التعايش، فلكل فرد نصيبه من العمل يقوم به تحت إشراف شيخ الطريقة .

3- الطريقة الحمالية (الشريفية):

تنسب الطريقة الحمالية إلى الشيخ حمى الله * (1883-1943م)، وهي أحد فروع الطريقة التيجانية، أخذها الشيخ حمى الله عن أستاذه التيجاني الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف باسم الشريف الأخضر ** وهو من منطقة توات، وهنا يظهر مرة أخرى التأثير التواتي في غرب إفريقيا، وقد أسس الشيخ حمى الله الطريقة الحمالية -بعد وفاة شيخه- على أسس اجتماعية ودينية، قائمة على تحرير المرأة ورفع الغبن عن الطبقات المظلومة، ولم تختلف عن التيجانية في موقفها المعادي للاحتلال[1].

وتأسيسا على هذا ، شرع الشيخ حمى الله في نشر طريقته بغرب إفريقيا فاستطاع أن يكسب عدد من الأعوان في نيوركابي، ونيما، وولاته، وبعض المناطق في موريتانيا، وانتشرت على طول نهر السينغال ما بين داكار وسانت لويس، ووصلت إلى النيجر وغينيا[2].

---

* ولد في مدينة نيور سنة 1883 شمال جمهورية مالي.

** استقر الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله في نيور حوالي عام 1960م، يدرس تعاليم التيجانية بغرب إفريقيا وتوصل إلى أن تعاليم الطريقة هناك تخالف الورد الذي وضعه مؤسس الطريقة ، توفي في نيور عام 1909.

[1] نعيم قداح، المرجع السابق، ص 127.

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص 197.

وفي عام 1929 أعلن الشيخ حمى الله الحرب ضد الصوفيين المحالفين للاحتلال والمتعاونين معه ، فنفاه الفرنسيون، ثم حكم عليه بالسجن إلى أن مات سنة 1943، فحاول أحد تلاميذه المدعو يعقوب سيلا، أن يخلفه في العمل ويواصل نشر الطريقة ، لكنه أجرى عليها تعديلات جعلته يصبح متطرفا في تعاليمه لدرجة أن أتباع الطريقة الحمالية أنكرته وأصبحت طريقته تعرف باليعقوبية انتشرت على الخصوص بين شعب السراكولا، واستقلت عن الحمالية وظلت هي والحمالية على عدائهما المشترك للتيجانية.

5-**الطريقة الفاضلية :**

تعتبر الطريقة الفاضلية أحد فروع الطريقة القادرية، أسسها الشيخ محمد فاضل القلقامي (ت 1969م) إلا أن ازدهار الطريقة وانتشارها كان على يد الشيخ ماء العينين، وهو أحد أبناء مؤسس الطريقة، تربي تحت إشراف والده، كانت له علاقات وطيدة مع سلاطين مراكش، قرر بعد عودته من الحج، الاستقرار في الساقية الحمراء بموريتانيا ومن هناك شرع في نشر طريقته كما نجح في إقامة علاقات قوية مع البدو، وازداد دورها في الثمانينات من القرن 19م ، حيث ركز في سياسته على توثيق الصلة مع الحكام الأشراف في مراكش، لا سيما وانه كان يؤيدهم في مواجهة الاحتلال الأوربي.

وفي عام 1871م بنى الشيخ ماء العينيين مقرين ثابتين لطريقته، ونظراً لعلاقته الطيبة مع سلاطين مراكش، فقد نجح في استمالة أحد سلاطينها وهو السلطان الحسن الأول الذي تولى السلطة سنة 1894 ، فشيد بذلك مقر للطريقة بمراكش، وأصبح لها وقفا خاصا، كما صار الشيخ ماء العينين يمتلك العقارات والحدائق ، وأقيمت مراكز أخرى للطريقة في فاس وسمارا وغيرها من المناطق المغربية ، مما ساعد على انتشار الطريقة في هذه المناطق[1].

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص 200-202.

إلى جانب انتشار الطريقة بالمغرب الأقصى ، كان لها ظهور في موريتانيا وبعض المناطق من السينغال ، حيث أقيمت زوايا للطريقة الفاضلية في هذه المناطق منها :

- زاوية دار السلام جنوب السينغال التي أسسها الشيخ محفوظ أحد أحفاد الشيخ محمد الفاضل .
- زاوية نمجاط بموريتانيا حيث قبر الشيخ سعد أبيه بن محمد الفاضل [1].

6- **الطريقة السنوسية :**

تنتشر السنوسية بإفريقيا الشرقية والوسطى بشكل واسع أما إفريقيا الغربية فهي تتواجد ببعض المناطق في النيجر والتشاد.

كانت هذه أهم الطرق الصوفية التي انتشرت بغرب إفريقيا، والتي نجحت إلى حد كبير في استقطاب الافريقين وكسب تأييديهم حتى أصبحت الأفكار الصوفية جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للأفارقة ، ولعل هذا راجع حسب قول بول مارتي إلى طبيعة النفسية الإفريقية الزنجية ، حيث يقول :" أن الإفريقي لا يستطيع أن يحيا في هذه الدنيا ، آملا في نيل الثواب في الآخرة ، إلا إذا سار وراء رجل قوي قديس حلت عليه البركة الإلهية " [2].

وهو الأمر الذي جعل شعوب غرب إفريقيا تلتف حول الطرق الصوفية وتتعلق بها خاصة وأنها ظهرت في فترة عانى فيها الأفارقة من ظلم الاحتلال وسيطرته ، فلما خاب أمل الأفارقة في السلطات السياسية لجؤو إلى السلطات الدينية المتمثلة في شيوخ الطرق الصوفية علها تنقذهم مما كانوا فيه، ولهذا نجد أن العديد من الطرق الصوفية بغرب إفريقيا تجردت من بيعتها الدينية، وأصبحت لها اهداف سياسية مثل ما كان الحال عليه بالنسبة للطريقة الفاضلية والحمالية والمريدية .

---

(1) عبد القادر سيلا: المرجع السابق، ص 134.
(2) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 118.

كما نشير إلى أن إقليم توات كان له الدور الأساسي في إدخال التصوف للمنطقة ومن خلال نشاط بعض القبائل التواتية ، خاصة قبيلة كنتة التي ساهمت بشكل فعال في إدخال التصوف لغرب إفريقيا ، فضلا عن دور بعض الشخصيات التواتية التي ساهمت في ذلك من خلال تنقلاتها في المنطقة، هذا بالإضافة إلى الدور الذي قام به الشيخ بن عبد الكريم المغيلي في ذلك.

المبحث الثالث: أثار انتشار التصوف بغرب إفريقيا

لقد كان لانتشار التصوف بغرب إفريقيا خلال القرنين 18م و 19 م دورا عظيما الأثر بالمنطقة ، شمل مجالات عديدة، وأحدث تغييرات جذرية داخل المجتمع الإفريقي من جميع النواحي الدينية ، الثقافية ، الاجتماعية، السياسية والاقتصادية .

فمن الناحية الدينية، أسهمت الطرق الصوفية بشكل فعال في نشر الدين الإسلامي بغرب إفريقيا، من خلال القضاء على الكثير من البدع والخرافات التي كانت سائدة بين المجتمعات الإفريقية الوثنية ، فالعديد من أماكن المنطقة لم تر نور الإسلام إلا بفضل جهود الطرق الصوفية، التي واجهت المجتمعات الوثنية الإفريقية ونشرت الإسلام بينهم[1] ، من ذلك حركة الشيخ عثمان بن فودي القادري الذي قام بنشر الإسلام في ممالك الهوسا الوثنية عن طريق الوعظ والإرشاد ومساعدة الناس على تجنب البدع التي تخالف تعاليم الإسلام ، فضلا عن تعليم العلوم الشرعية وتبسيطها، ومحاولة تقريبها من فهم العوام وقد نجح الشيخ عثمان بن فودي في استقطاب العديد من الفئات الاجتماعية وأثر في حركات كثيرة آنذاك كحركة الشيخ عمر بن سعيد الفوني، وأحدث نشاطه حركة فكرية وثقافية وتغييرا اجتماعيا كبيرا في غرب إفريقيا، حيث انتشر التعليم، وزادت المساجد والمعاهد الدينية .

والأمر كذلك بالنسبة لحركة الحاج عمر الفوتي التيجاني (1281هـ – 1864م) التي نجحت في تقوية وحدة المسلمين بغرب إفريقيا ، وتصحيح العقيدة من الشوائب التي علقت بها[2].

ومهما يكن من أمر فإن الطرق الصوفية باختلافها أدخلت الإسلام للقارة الإفريقية، وكان لدخول الإسلام إليها أهم حدث ، حيث ساعد ذلك على خروج المنطقة من العزلة وانفتاحها على العالم الخارجي واتصالها به كما ساعدها على استيعاب المفاهيم

(1) عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 223.
(2) عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق، ص 132-162.

الحضارية بشكل دقيق وواسع وفتح لها الباب على مصراعيه لولوج عالم التطور والحضارة[1] .

إلى جانب ذلك ، كان للطرق الصوفية بغرب إفريقيا دورا هاما في المجال الثقافي خاصة وأن شعوب المنطقة كانت تعيش مستوى ثقافي متدني ، ويظهر الدور الثقافي للطرق الصوفية ، في نشر الثقافة الإسلامية ، هذا إضافة إلى مؤلفات أقطاب الصوفية بالمنطقة التي أصبحت مصدر تشرب منه الأفارقة أسس الثقافة العربية والإسلامية مثل مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي ، منها: " كتاب أحياء السنة وإخماد البدعة " ، " كتاب أصول الدين كتاب السلاسل الذهبية للسادات الصوفية "....الخ ومؤلفات الحاج عمر الفوتي مثل : " كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم " ، وغيرها من المؤلفات الصوفية التي اعتبرت ركائز أساسية يعتمد عليها الأفارقة في التعلم والتعرف على الفكر الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية[2] .

ويتضح هذا الدور جلياً في تصريحات الرحالة الأوربيين أمثال : الانجليزي فرانسيس مور f.moor الذي قال بأنه في عام 1731م وجد معظم أهالي غامبيا يتكلمون العربية لأنهم يتعلمونها في مدارسهم، ولأن القرآن مكتوب بها ، كما وجد منقوبارك Mangopark عند زيارته لغرب إفريقيا عدد كبير من مدارس تعليم القرآن، ويظهر التأثير كذلك في اعتماد بعض اللغات الإفريقية إلى غاية القرن 19م على الحروف العربية مثل الهوسا التي كانت تكتب بالحروف العربية [3].

ويقول توماس أرنولد في كتابه الدعوة للإسلام: " بلغت اللغة العربية حداً يفوق الوصف بل أنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل بعض القارة السوداء وهي إلى ذلك لغة الشريعة المكتوبة ، وهذا تقدم هائل للحضارة الإفريقية " [4] .

---

[1] عمار هلال: المرجع السابق، ص 136.
[2] عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص 224.
[3] أحمد ابراهيم دباب، المرجع السابق، ص 78.
[4] نفسه، ص 79.

وهذا يبرز لنا التأثر الواضح للأفارقة بالإسلام وجهود الطرق الصوفية أما اجتماعيا ، فقد ساهمت الطرق الصوفية في تأسيس مجتمع إفريقي إسلامي حديث ، قضت من خلاله على التعصب والنظام القبلي التقليدي ، وأجلت الصراعات القبلية القائمة ، فوحدت القبائل وقوّت الشعور بالوحدة، وألفت بين قلوب القبائل المختلفة خاصة وأن الإسلام لا يميز بين الأشخاص في اللون والجنس وغيره، إنما يجمعهم في إطار واحد مشترك هو الإسلام الذي يعتبر أقوى من رابطة القبلية[1] ، كما ساهمت الطرق الصوفية في استئصال عادات وتقاليد وثنية افريقية كثيرة، مثل عادة تقديم القرابين البشرية ، ووأد الأطفال ، وعُرف المجتمع الإفريقي إثر ذلك السلم والاستقرار [1] ، لا سيما وأن الشيوخ الصوفية لعبو في كثير من الأحيان دور الوسطاء لحل المشاكل والنزاعات داخل القبائل ، وكانوا سندا للضعفاء و المضطهدين وقدموا الإعانات للفقراء والعجزة والمحتاجين، وكان للزوايا دور في إيواء المتشردين والأيتام من الأطفال والشبان والشيوخ ، كما غرست روح التضامن والتعاون بين القبائل الإفريقية فأسست بذلك لمجتمع إفريقي حديث يجمعه الإسلام ، وتسيره الأخلاق والمبادئ الإسلامية والعربية [2].

وعلى الصعيد السياسي ، واجهت الطرق الصوفية الاستعمار وتصدت له ، لا سيما وأن غرب إفريقيا تعرض كغيره من مناطق القارة لموجة استعمارية في القرنين 19 و 20 م اجتاحت المنطقة ، وحاولت نشر الثقافة المسيحية واستئصال الإسلام ، فلم تجد الطرق الصوفية بدا من التصدي لهذا المد الاستعماري الذي استشرى في المنطقة ، فأعلنت الجهاد ضد الغزو الأوربي ، فمن ذلك نضال الشيخ عثمان فودي والشيخ أحمد * 1755 (ت 1260 هـ – 1844م) والحاج عمر الفوتي الذين حاربا الاستعمار طويلا وجندا له أتباعهما، وخاضا معارك عديدة ضد القوات الفرنسية التي كبدوها

---

(1) عمار هلال، المرجع السابق، ص 134.
(1) احمد ابراهيم دياب، المرجع السابق، ص 76.
(2) عمار هلال، المرجع السابق، ص 135.
* ولد في مدينة جنى اسس مدينة حمد الله سنة 1815 التي اتخدها عاصمة لدولته التي ضمت مالي وبوركينافاسو، انظر عبد الرحمان عمر الماحي، المرجع السابق، ص 153.

خسائر فادحة في كثير من الأحيان ، فالطرق الصوفية جاءت في الوقت المناسب ، وقد أنقذت المنطقة من خطر القضاء على الإسلام وانكماشه [1] .

ومع تطور الفكر الصوفي وتبؤ رجال التصوف مكانة هامة بغرب إفريقيا ، وبعد حصولهم على تأييد الشيوخ والزعماء المحليين، لجأ هؤلاء إلى تقلد مناصب سياسية فمزجوا بذلك بين السلطة الدينية والسياسية ، ويتجلى هذا في تأسيس رجال الطرق الصوفية لدول دينية سياسية بهدف لم شمل الأفارقة وتوحيدهم لمواجهة الاحتلال [2]، ومن هذه الدول نذكر: دولة الشيخ عثمان بن فودي بنيجيريا من 1804–1904 ، وقد اتخذ من مدينة سوكوتو عاصمة لدولته التي عمل على توطيد دعائمها ووضع لها نظام إداريا وجعل اللغة العربية فيها هي اللغة الرسمية ، كما عين الوزراء والحكام والقادة وتلقب بأمير المؤمنين ، وقد اعتمد في تنظيم دولته على الأنظمة الإسلامية التي استقاها من دول إسلامية سابقة ، وعى العموم فقد حاول عثمان بن فودي من خلال دولته توسيع دائرة الإسلام بالمنطقة، وتكثيف الجهود للتصدي للاحتلال ، إلى أن سقطت دولته على يد الاستعمار الأوربي سنة 1904 [3].

<u>دولة أحمد ولوبو الماسيني القادري</u> * (سنة 1815م) ، كانت عاصمتها مدينة "حمد الله " على الضفة الشرقية لنهر النيجر، ضمت دولته كل من مالي وبوركينا فاسو، أقام دولته على أسس إسلامية وأعلن الجهاد في سبيل الله ضدّ الحكام الوثنيين (البامبارا)، وانتقد العلماء الذين لم يقوموا بدورهم في الجهاد، إلا أن دولته لم تستمر إذ سقطت عام 1862 بعد ما سيطر عليها الحاج عمر بن سعيد الفوتي التيجاني [4].

---

[1] عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق، ص 226.
[2] نفسه، ص 226.
[3] عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق، ص 129-144.
* ولد سنة 1775 تعلم في مدينة جني على الضفة اليسرى لنهر النيجر، حيث درس الفقه والحديث والنشر والتاريخ الإسلامي والسير.
[4] يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، دار هومه، الجزائر ، 2001، ص 153.

<u>دولة الحاج عمر بن سعيد الفوتي</u> في بلاد النكرور سنة 1849 ،أعلن من خلالها الجهاد ضد الإمارات الوثنية ، وقامت دولته على أساس مقاومة الوثنية ونشر الإسلام والوقوف في وجه المتعاونين مع الاستعمار ، حتى سقطت على يد الاستعمار سنة 1898 ، بوفاة ابنه الذي خلفه ، قال عنه أحد الضباط الفرنسيين " لقد كان أكبر ممهد لمن أتوا بعده من الزعماء الإفريقيين الذين قاوموا على غراره الاستعمار الفرنسي لأنه كان يمثل الطموح والحماس الصوفيين وقد استطاع بنفوذه وقوة شخصيته أن يقوي رابطة الوحدة الإفريقية بين أتباعه المنتسبين إلى القبائل المختلفة .

ويقول عنه مولارد : لولا الاستعمار الفرنسي لنجح الحاج عمر في إقامة دولة واحدة إسلامية في إفريقيا الغربية [(1)].

وبهذا يمكن القول أن دولة الحاج عمر الفوتي نجحت في تقوية وحدة المسلمين بغرب إفريقيا ودعوتهم للجهاد ومحاربة العدو.

وإذا تحدثنا عن الجانب الاقتصادي ، فإن الطرق الصوفية أبدت جهودها في هذا المجال ، حيث وفرت الأمن في كثير من الأحيان للقوافل التجارية في غرب إفريقيا بفضل الزوايا المنتشرة التي كانت عبارة عن مأمن من اللصوص وقطاع الطرق، ومكان لخزن البضائع التجارية إلى حين نقلها لأماكن بيعها فساهمت بذلك في انتعاش النشاط التجاري إضافة إلى ذلك [(2)] تصدت الجماعات الصوفية لكل الأمور التي تخالف الشريعة الإسلامية ، كفرض الضرائب المجحفة .

كما انفرد بعض الصوفيين بالسيطرة على مناجم الملح الهامة ، مثل جماعة الكونتا القادرية التي كانت تملك مناجم الملح في ايجيل ijil قرب موريتانيا، وحصلت الطريقة التيجانية على نصيب وافر من التجارة عن طريق بث زواياها عبر الصحراء في إقليم الساحل وتوات ، ويعتبر هذا مصدر دخل هام للزوايا التيجانية ، كما أدت الطرق الصوفية خدمات جليلة عند توزيعها الأراضي حول الزوايا من أجل زراعتها ،

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 166-167.
(2) عمار هلال: المرجع السابق، ص 136.

حيث تم تشغيل الرقيق، الأمر الذي حقق ازدهارا ورفاهية اقتصادية بالمنطقة ، نتج عنها قيام مدن وقرى وفرت الأمن والاستقرار ونشرت الدين الإسلامي[1] .

مما سبق نخلص إلى أن الطرق الصوفية بغرب إفريقيا كان لها دوراً ايجابيا في كثير من النواحي، حيث نشطت على مختلف الأصعدة وساهمت بذلك في إحداث ثورة داخل المجتمع الإفريقي انعكست نتائجها عليه بالفائدة تجلت في إحداث ثورة بالمجتمع الإفريقي .

[1] عبد الرزاق ابراهيم: المرجع السابق، ص 229.

خاتمة الفصل الثالث:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن إقليم توات كان له دور بارز وهام في نشر الطرق الصوفية في منطقة غرب إفريقيا، بفضل احتكاك قبائل المنطقتين والعلاقات القائمة بينهما باعتبار القرب الجغرافي والامتداد الطبيعي بينهما.

وهذا ما لاحظناه بالنسبة للطريقة القادرية التي انتقلت من توات إلى غرب إفريقيا عن طريق قبيلة كنتة التواتية، التي أصبح لها نفوذ واسع بغرب افريقيا، نظراً لدورها الواضح الذي شمل جميع الأصعدة، إضافة إلى هذا لعبت القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء من الشمال إلى جنوب، دورا كبيرا في نشر الطرق الصوفية بغرب إفريقيا كالطريقة التيجانية مثلا .

كما ظهرت الطريقة الحمالية عن طريق تتلمذ شيخها على يد أحد شيوخ توات ، فهذا يؤكد انتشار بعض الطرق نتيجة الاحتكاك العلمي مع علماء توات، بحيث كان يتجه بعض الطلاب الافارقة لنيل العلوم منهم .

وبهذا انتشرت الطرق الصوفية بمختلف أنواعها بغرب إفريقيا ، وتعمقت فيها وأثرت تأثيرا كبيرا على المجتمع الإفريقي، بل إنها غيرته تغييرا جذريا من حياة الوثنية والاعتقاد بالبدع والخرافات وغيرها من السلوكيات السيئة إلى حياة الإسلام وتعاليمه السمحة الحميدة.

الخاتمة

إن دراسة الطرق الصوفية ليس بالأمر الهين، خاصة إذا تعلق الأمر بمنطقة توات وغرب إفريقيا، نظرا لاختلافها وتشعبها، ولما تعرضت له من تغييرات وانتقادات، لاسيما بعد أن انحرف بعض رجال التصوف وإدخال البدع على الممارسات الصوفية التي جعلت أصحابها ينحرفون عن الدين الإسلامي الصحيح، ومهما يكن من أمر فإن أهم ما يمكن أن أختم به هذه الدراسة هو جملة من النتائج والاستخلاصات، تعتبر عصارة ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة، وهي كما يأتي:

* إن التصوف الحق هو الذي يستمد مشروعيته من القرآن والسنة، وبالتالي هو معادلة ما بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا يترك الإنسان العنان لجسده وينغمس في شهوات الدنيا وملذاتها، بدون ضوابط ولا يبالغ في الانغماس في الفكر الروحي الباطني الذي يحرمه من المتعة لأن هذه تعتبر رهبانية، ولا رهبانية في الإسلام، حسب حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

* يعتبر التصوف علم قائم بذاته كغيره من العلوم، تعرض لتغيرات وتأثر بمؤثرات عبر الزمن، فقد كان مفهوم التصوف في البداية عبارة عن زهد وتقشف ثم ظهر ما يسمى بالطرق الصوفية، حيث اتخذ كل شيخ صوفي طريقته الخاصة به، لها مبادئها وأتباعها، وشيئا فشيئا أسست الطرق الصوفية لنفسها مراكز اتخذتها منطلق لنشر مبادئها كما اعتبرت مكان للتعليم ومساعدة المحتاجين، فجمعت بذلك بين الدور الاجتماعي والدور العلمي الذي هو في خدمة المجتمع.

* وجدت الطرق الصوفية منطقة توات أرضا خصبة لنشر أفكارها، حيث عرفت هذه المنطقة انتشار واسع لمختلف الطرق الصوفية، من شاذلية، قادرية، وتيجانية، استطاعت أن تتلاءم مع سكان المنطقة، وتتفاعل معهم بفضل مرونتها وسهولة مبادئها لذلك أثرت على المنطقة تأثير كبير من جميع النواحي.

* لقد كان للطريقة الشاذلية انتشار واسع بمنطقة توات على غرار الطرق الأخرى، حيث شملت مناطق عديدة، ولها نفوذ كبير لا زال يزداد لغاية يومنا هذا وأصبحت لها أهمية بالغة في الحياة الروحية لسكان المنطقة.

* ساهمت الطرق الصوفية في القضاء على الكثير من الأفكار الخاطئة التي كانت شائعة في أوساط المجتمع التواتي والإفريقي، وأحدثت تغييرات جذرية بالمنطقة عن طريق نشر الإسلام الصحيح الخالي من الشوائب بين أفراد هذه المجتمعات.

* يظهر تأثر المجتمع التواتي بالطرق الصوفية تأثير واضح في عاداته وتقاليده التي لا زالت تمارس لغاية الآن، وأوضح مثال على ذلك التظاهرات الثقافية التي تجري في المنطقة من حين لآخر، احتفالا بذكرى وفاة أحد شيوخ الصوفية الذين كانت لهم مكانة هامة بين سكان المنطقة.

* على أن أهم ما مميز شيوخ الطرق الصوفية بتوات هو ما خلفوه من تراث إسلامي هام تمثل في المخطوطات التي أصبحت اليوم أحد الركائز التي يعتمد عليها الفكر الإسلامي، هذا إلى جانب ما تركوه من زوايا ومدارس قرآنية ساهمت ولا تزال في تعليم النشء وتكوينه، وتثقيفه ثقافة إسلامية تجعله يتحمل مسؤولية نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة للأجيال.

* ومهما يكن من أمر فإن كل الطرق الصوفية التي انتشرت بتوات سواء الطريقة القادرية، التيجانية، بفروعها، كان لها أثر كبير في نشر الإسلام والقضاء على البدع والخرافات من خلال الزوايا والمدارس القرآنية، وحلقات الذكر التي كانت تقام من حين لآخر من قبل مقدمي ومريدي الطرق الصوفية.

* وبالمقابل فقد تضاعف دور الطرق الصوفية بغرب إفريقيا لاختلاف أوضاعها، حيث حاول زعماءها العودة بالإسلام إلى نقائه وتصدوا للكثير من العادات الوثنية التي اختلطت بالدين، لذلك فإن الدعوة الإسلامية بغرب إفريقية تدين بالكثير لجهود الطرق الصوفية، بحيث حاولت أن تتلاءم مع أفكار الأفارقة، ووقفت كسد منيع أمام محاولات التبشير المسيحية التي قام بها الاستعمار بمختلف أنواعه.

* كان لإقليم توات تأثير هام في امتداد الطرق الصوفية لغرب إفريقيا، بفضل قبيلة كنتة، التي ساهمت بشكل فعال في نقل الطريقة القادرية للمنطقة وتثبيتها هناك.

* أسهمت مؤلفات أقطاب الصوفية الأفارقة في الفهم الصحيح للإسلام، من ذلك: مؤلفات الشيخ المختار الكبير، مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي التي ساعدت على توسيع دائرة انتشار الإسلام بالمنطقة، ويعتبر هؤلاء ثمرة من ثمرات الطرق الصوفية التي عملت هناك.

* على أن ما يميز الطرق الصوفية بغرب إفريقيا هو موقفها الواضح والمعادي للاستعمار، حيث ثارت ضده وشجعت على الجهاد ضده.

* هذا ورغم الدور الإيجابي الذي أدته الطرق الصوفية بغرب إفريقيا إلا أنها فشلت في تكوين جبهة موحدة ضد الاحتلال ، ودخلت في تنافس حاد فيما بينها إلى درجة التعاون مع القوى الوثنية في بعض الأحيان ، فقد تحالفت الطريقة القادرية ضد الحاج عمر الفوتي التيجاني في منطقة ماسينا، وحاصرت قوات أحمد البكاي قوات الحاج عمر الذي اضطر لخوض معركة ضد هؤلاء المسلمين لتخليص جيشه من الحصار، وهو الأمر الذي أخرجها عن مبدئها الداعي إلى التسامح والإتحاد من أجل مواجهة العدو.

* كما أن الطرق الصوفية بإفريقيا تمكنت من القضاء على العصبيات والقبليات التي كانت سائدة بغرب إفريقيا ، و قضت على المعتقدات الشائع داخل هذا المجتمع، كما أنها كسرت الحاجز الذي كان قائما بين الدين والدنيا، فأصبح الصوفي يثبت مساهمته في الحياة السياسية ، بتأسيس الدول وتنظيم الجيوش

لمحاربة الإستعمار ؛ وهذا ما يؤخذ على بعض رجال التصوف الذين انغمسوا في المجال السياسي وتجردوا بالتدريج من مهامهم الدينية مثل ما لاحضناه بالنسبة للشيخ ماء العينين وغيره كثير.

فهل توقف دورهم بذلك بغرب إفريقيا ، أم واصلوا دورهم الديني بالموازاة مع الدور السياسي؟.

الملاحق

ملحق رقم : 04

حزب البحر للشاذلي

ياالله يا علي يا عظيم ، يا حليم يا عليم ...أنت ربي وعلمك حسبي ، فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم .

نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعا الغيوب ، فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ليقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.....فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام، وسخرت النار لإبراهيم عليه السلام، وسخرت الجبال والحديد لداود عليه السلام، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان عليه السلام.

وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا ملكوت كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء.

كهيعص، حم عسق، انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين وارزقنا فإنك خير الرازقين واهدنا ونجنا من القوم الظالمين ، وهب لنا ريحاً طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير.

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحبا في سفرنا وخليفة في أهلنا واطمس على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون.

يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ،

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أ يديهم سدا ومن خلفهم سداً فأغشيانهم فهم لا يبصرون.

شاهت الوجوه وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ضلماً.

طس، طسم، حم عسق، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، حم ، حم، حم، حم، حم، حم، حم...

حم الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون.

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

" بسم الله" بابنا " تبارك" حيطاننا ، " يس " سقفنا، " كهيعص " كفايتنا، " حمعسق" حمايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

ستر العرش مسبول علينا، وعين الله ناظرة إلينا ، بحول الله لا يقدر علينا والله من ورائهم محيط.

بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ.

إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

فإن تولوا فقل حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد بن عبد الله ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ، ج1، وزارة الثقافة:2007، ص20-21.

ملحق رقم: 05

سند الطريقة الكرزازية

أخذ الشيخ سيدي أحمد بن موسى التصوف من الشيوخ الآتية أسماؤهم على الترتيب:

1- الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي.

2- الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني.

3- الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد بن عقبة الحضري.

4- الشيخ سيدي الشريف القادري.

5- الشيخ سيدي علي وافا.

6- الشيخ سيدي محمد يا والله.

7- الشيخ سيدي داوود الباجي.

8- الشيخ سيدي أحمد بن محمد بن عطاء الله.

9- الشيخ سيدي أحمد بن عمر الأنصاري المرسي.

10- الشيخ سيدي أبي الحسن علي الشاذلي.

11- الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش.

مولاي التهامي غيتاوي: المرجع السابق، ص 55.

ملحق رقم:08

نموذج من الشعر الملحون الذي كتبت به الرموز:

1- **في الصفات التي يجب على المريد اتباعها لكسب رضا شيخه:**

المريد إلى أصف قلب يوصل والشيخ إلى كان كامل يبطش به

سر الله ما ينجم غير العاقل والجهل لو كان في حجر يرميه

2- **في الذكر:**

الذكر يا زاهد الذكر والذكر هو الجبيرَ

ملا ليه نور الذكر هذاك حظي المرير

الذكر بواب للقلب يحظيه من كل علا

مدا من جاللباب وألقاه ثـم ولا

الذكر جازو الأجواد نالوا به المقاصد

هدوك سدات العباد والغير فالرأي فاسد

3- **وفي الصلاة على النبي:**

الصلاة عليك يا صاحب جبريل قد ما صلوا عليك قبل أن توجد

الأمان الأمان يا عريس الجنان يا محمد غيث من جالك قاصد

الشيخ سيدي أحمد بن موسى، مخطوط الرموز، خزانة سليماني علي بأدغا.

ملحق رقم: 11

نموذج من شعر الشيخ سيدي عبد القادر محمد (ت 1025 هـ)

فيا أهل عصرنا أجيبوا دُعائنا　　　فإننا ندعوا للهدى عن بصيرة

أحذركم بما النبي أتى به　　　وأخبركم بما أتى من بشارة

ولست بمدعي الرسالة غير ما　　　تحصل لي من إرث علمٍ وحكمة

وأي طبيب للقلوب من العمى　　　أطب من الذكر القوي الإشارة

وأي معد للذنوب ومحوها　　　أشد من اسم ذي الصفات الجليلة

وما الحج والجهاد من غير فرضنا　　　بأفضل من ذكر الأسماء العظيمة

بل الذكر أقوى ثم أولى لا سيما　　　إذا استشعر القلب النعوت الحميدة

فإنني عبد القادر بن محمد　　　سليل أبي الربيع نجل السماحة

ولا فخر غير أني عبد للقادر　　　وأحمد تاجُ الرسل أقوى وسيلة

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زماننا　　　إليه انتهت فنون هذي الطريقة

فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه　　　تسلسلت الأشياخ أهل العناية

إلى الشاذلي السامي أبي الحسن الذي　　　يحوز الكمال أضحى بحر الحقيقة

عن أبي مشيش قطب دائرة العلى　　　عُنيدِ السلام ذي العلوم الرفيعة

الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد: <u>الياقوتة</u>، ص 11-20.

ملحق رقم:12

نموذج من قصيدة الأنوار بالتوسل بالمشايخ الأبرار

باسم الله بديت هي مفتاح البيت يجلا بها الحديث تفتح كل قفلا.

ونثني بالصلاة على شافع لمات محمد روح الذات به تزول الدبلا.

نتوسل للعلام بالملائكة الكرام واللوح مع القلام وأسرار بكملا.

نتوسل ببن عوف وابن الجراج وبذر الغفاري صحب الدللا.

نتوسل بالصديق جعفر هو التحقيق وجبريل الوثيق ما يخفش للا.

ننده رجال توات وانعوّل على لمبات نذكر فيهم سدات من ناس البدللا.

يا بن عبد الكريم فضلك ظهروا قديم ونغطص بالضيم سلكن بسهلا.

ننده رجال سبع من يقصدهم عمر ما يتورع ورجال الهبلا.

بموسى في كرزاز وبالسبح والعكاز عند هو المهماز سكان الجهاد.

المكي بن مبارك بن محمد بن أبي زيان القندوسي: قصيدة الأنوار بالتوسل بالمشايخ الأبرار، خزانة سليماني، ادغا.

البيبلوغرافيا

1- قائمة المصادر والمراجع
2- الفهارس

قائمة المصادر والمراجع:

– المصادر :

أ- العربيـة:

1- الإدريسي أبي عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلسي مقتبس من كتاب نزهة المشتاق،ب ط، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر: 1983.

2- الاصطخري ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، ب ط، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1961.

3- ابن بطوطة محمد بن عبد الله : رحلة ابن بطوطة ، ج 2، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر: 2007.

4- البكري أبي عبد الله : المسالك والممالك، ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984.

5- بن أنس مالك: موطأ الإمام مالك، د ط ، دار الكتب ، الجزائر: بدت.

6- بن موسى أحمد: مخطوط الرموز، خزانة سليماني علي بأدغا .

7- بن محمد عبد القادر: الياقوتة.

8-بن البركة محمد الصافي: مخطوط تحفة أولياء الله الصالحين، خزانة سليماني علي، أدغا.

9- البرتلي أبو عبد الله : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دم ، بدت.

10-أبي زيان القندوسي المكي: مخطوط قصيدة الأنوار بالتوسل بالمشايخ الأبرار، خزانة سليماني ، أدغا.

11-زروق أبي العباسي أحمد: قواعد التصوف،ط 1، تح: عبد الحميد خيالي، دار الكتب العالمية، بيروت : 2003 .

12- الطاهري أحمد: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء التقات، خزانة كوسام.

13- الكلاباذي أبو بكر محمد: التعرف لمذهب أهل التصوف،ط1، دار صادر، بيروت: 2001.

14- الكنتي محمد المختار: مخطوط الطرائف والتلائد، ج 1، خزانة كوسام.

15- الكرزازي محمد عبد الكريم: مخطوط المناقب المعزوة في مآثر الأشياخ الكرزازية ، خزانة سليماني، أدغا.

16- السكوني أحمد بن أبي بكر: تقوية إيمان المحبين، تح: طواهرية عبد الله، دط، دار الأديب للنشر و التوزيع: بدت.

17- السعدي عبد الرحمان : تاريخ السودان، د ط ،د. دن، باريس: 1981.

18- التواتي محمد أبي بكر : مخطوط السر المغتبط في وقف المخمس الخالي الوسط ،1016 هـ خزانة سليماني ،أدغا ، رقم 53.

19-التمنطيطي محمد عبد الكريم : مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، خزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام

20-- التنلاني البكري بن عبد الرحمان: ديوان شعر سيدي البكري، خزانة سليماني، ادغا.

21- ابن خلدون عبد الرحمان: مقدمة ابن خلدون، ط1، دار صادر، بيروت:.2005

22- التنلاني محمد بن عبد القادر بن يوسف: مخطوط الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف، خزانة سليماني ، أدغا.

ب- الأجنبية:

23- Kalabadhi : Traité de soufisme, éditions sindbad, Paris : 1981.

- المراجع

أ- العربية:

24- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت: 1998.

25- الأزمي أحمد: الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ب ط، ج 1-2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: 2003.
26- بوعزيز يحي: إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ، ب ط ، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر: 2001.
27- بكري عبد الحميد : النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 ه إلى القرن 14هـ ، در الهدى ، الجزائر: 2005.
28- بلعالم محمد باي: الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1-2، د.د.ن، د.م: 2005
29- بن القبي صالح: الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم، ب ط ، ANEP، الجزائر: ب.ت.
30- بن تونس خالد: التصوف قلب الإسلام، ط1 ،دار الجيل ،بيروت: 1998.
31- الجمعية المغربية : الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: 1997.
32- دياب أحمد ابراهيم: لمحات من التاريخ الإفريقي، د ط، دار المريخ، الرياض:دت
.
33-هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، ب ط ، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر : 1984.
34-زيادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1989.
35- حوتية محمد الصالح : توات والأزواد ، ج 1، در الكتاب العربي ، الجزائر: 2007.
36- حسوني محمد بن الكبير : اللبانة الرمزية لمريد المناقب المغرية، مطبعة الريان، الجزائر: 2007.
37- طواهرية عبد الله : تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي، د ت .

38- الطيبي أحمد توفيق: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ب ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا: 1984.

39- الماحي عبد الرحمان عمر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ب ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر : 1989.

40- محمود حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة : 2006.

41- النحوي الخليل : أفريقيا المسلمة الهوية الضائعة ، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1993

42- السحمراني أسعد : التصوف منشئوه ومصطلحا ته، ط 1، دار النفائس، بيروت : 1987.

43- سيلا عبد القادر محمد: المسلمون في السينغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، ط 1، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر : 1406 هـ.

44- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم : الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة : 1999.

45- العماري أحمد: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب (1850-1902)، د ط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس : د ت.

46- العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها ، ب ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1983.

47- فليجة أحمد نجم الدين : إفريقيا دراسة عامة وإقليمية ، ب ط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2002.

48- فرج فرج محمود: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1988.

49- صادر يوحنا: سير المتصوفين المسلمين في جبل لبنان، ط 1، دار صادر، بيروت: 2004.

50- قداح نعم: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: د ت.
51- غيتاوي مولاي التهامي: الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى، د ط ، د ت .

ب- المراجع الأجنبية:

52- Martin.A.G.P. :Quatre siècles d'histoire Marocain sahara de 1504 a 1902, Paris.
53- Martin.A.G.P. Oasis Sahariennes, Edition Algérienne, Alger.
54- Meyerovitch Eva de Vitray : Anthologie du soufisme, édition Sindbad, Paris : 1978.
55- Selka Abderrahmane : Notice sur le touat, 1922.
56- Suter Karl : Etude sur la Population et l'habitat d'une région du Sahara Algérien.

القواميس و المعاجم

57- أبو عمرو شهاب الدين: القاموس الوافي، مر: يوسف البقاعي، ط1، دار الفكر، بيروت: 2003.
58- أنيس ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج1-2، د.د.ن: 1972.

المقالات والوثائق

59- الأمين عقباوي : محاضرة بعنوان : دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار.
60- بطران عزيز: " الشيخ المختار الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا " ، مجلة البحوث التاريخية، ع/2، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: جوان 1981.
61- دليمي بوجمعة : " رقصة البارود " ، مجلة الأحياء ، ع/1، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية ، أدرار ، د ت.

62- ميزوري محمد : " اجتماعات وتاريخ "، مجلة الأحياء ، ع/1، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار ، د ت .

63- مركز التوثيق والبحث: نبذة تاريخية موجزة عن القادرية الكنتية في منطقة حوض النيجر وما جاورها، جاو (مالي): 1999.

الرسائل الجامعية

64- الحمدي أحمد: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره (870- 909 هـ)، رسالة ماجستير ، جامعة وهران، 1999-2000.

65- تياح جميلة ، بن جعوان عائشة : الزوايا أصالة ومعاصرة ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس ، جامعة أدرار.

الأبحاث والدراسات

66- سرير ميلود وآخرون: دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات ، ج1، جامعة أدرار.

المقابلات الشفوية

67- السيد سليماني علي، مقالة شفوية يوم 2010/02/25، على الساعة الثالثة مساء بمقر محو الأمية.

الملتقيات والمؤتمرات

68- الملتقى الدولي الحادي عشر لجامعة أدرار بعنوان التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أدرار ، أيام 09-10-11 نوفمبر 2008.

فهرس الأعلام

أ

ابن خلدون : ص 4

غ

الإمام الغزالي: ص 4-13-15-16-44

فهرس الأماكن

أ

ب

فهرس الزوايا

أ

ب

ج

د

ز

ح

ك

م

فهرس الطرق الصوفية

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة